الفلسفة

للأشخاص المنشغلين

كل شيء يجب أن تعرفه حقًّا

آلان ستيفن

مكتبة 1668

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

الفلسفة
للأشخاص المنشغلين

كل شيء يجب أن تعرفه حقًّا

آلان ستيفن

مكتبة 1668

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore ... ليست مجرد مكتبة

انضم لـ مكتبة .. امسح الكود
telegram @soramnqraa

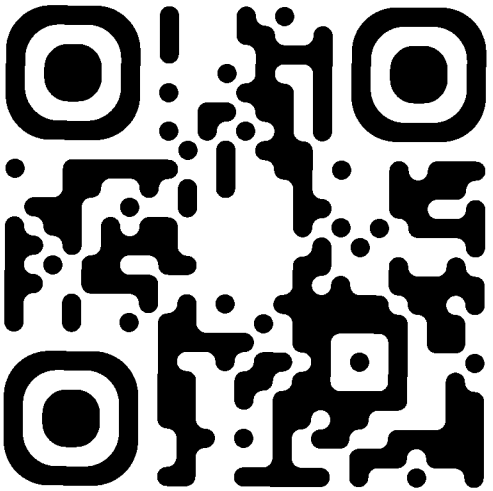

المحتويات

مقدمة: البحث عن الحقيقة 1

1 ما أنت بحاجة لمعرفته عن
فلسفة السعادة 9

2 ما أنت بحاجة لمعرفته عن
فلسفة الأخلاقيات والآداب 27

3 ما أنت بحاجة لمعرفته عن
فلسفة العلوم 57

4 ما أنت بحاجة لمعرفته عن
فلسفة السياسة والسلطة 77

5 ما أنت بحاجة لمعرفته عن
فلسفة الدين 99

6 ما أنت بحاجة لمعرفته عن
فلسفة اللغة 119

7 ما أنت بحاجة لمعرفته عن
فلسفة الحب 145

8 ما أنت بحاجة لمعرفته عن
فلسفة المستقبل 159

الملحق: مصطلحات فلسفية 165

مراجع مختارة 177

شكر وتقدير 183

الفهرس 185

تمثل الحقيقة عنصرًا من عناصر هذا العالم؛ فهي نتاج أشكال متعددة من القيود، وتُحدث تأثيرات مستمرة على السلطة. لكل مجتمع نظام الحقيقة الخاص به، و «سياسته العامة»؛ أي أنماط الخطاب التي يتقبلها ويقر بصحتها، والآليات والأمثلة التي تمكّن الفرد من التمييز بين الأقوال الحقيقية والزائفة، والوسائل التي تتم من خلالها محاسبة كل فرد، والأساليب والإجراءات التي تكتسب قيمة أثناء عملية البحث عن الحقيقة، وموقف أولئك الأشخاص المكلفين بالبحث عن الحقيقة.

«ميشيل فوكو» (1997)

مقدمة:

البحث عن الحقيقة

مكتبة
t.me/soramnqraa

من المهم في العصر الحديث؛ حيث تسير الحياة بوتيرة سريعة جدًّا في بعض الأحيان، أن نوفر مساحة في حياتنا للتفكير والتأمل في فرضياتنا وأفكارنا. قيل إنه جاء على لسان «سقراط» (469-399 قبل الميلاد)، ردًّا على وصف أحد رجال الدين البارزين في مدينة ديلفي، له بأنه أحكم الرجال، عبارة: «إن أحكم رجل هو الذي يعرف، مثل 'سقراط'، أن حكمته في الحقيقة لا تساوي شيئًا»، أي أن الأشخاص الذين يعترفون بأنهم لا يعرفون أي شيء هم في الحقيقة الأكثر حكمة. ولا يرجع ذلك إلى أنهم يمتلكون حكمة أكثر من الأشخاص الآخرين، ولكن لأنهم يعرفون أنهم ليسوا كذلك. إن البحث عن الحقيقة وطرح الأسئلة هما الهدف الحقيقي للفلسفة.

قد يبدو عنوان هذا الكتاب بالنسبة للكثيرين من الفلاسفة الهواة متناقضًا؛ حيث يجمع بين كلمتي «الفلسفة» و«الشغل»، إذ تعد الفلسفة بطبيعتها سعيًا حثيثًا و«متأملًا» لطلب المعرفة. ماذا قال الفلاسفة القدماء؟

- روّج «أرسطو» (384-322 قبل الميلاد) لفكرة التفرغ، وأن الحكماء وحدهم - وهم «الملوك الفلاسفة» كما سمّاهم «أفلاطون» - هم الجديرون باتخاذ القرارات وتأسيس الحياة الفاضلة ودعمها.

- لم يكن من المتوقع أن يعمل هؤلاء «الأوصياء» بجِد - كما وصفهم أفلاطون (428-347 قبل الميلاد)، في كتابه *الجمهورية* (نحو 380 قبل الميلاد)، هذا إن كانوا سيعملون من الأساس، لا بد أنه كان من الممتع قضاء الوقت في مدرسة الليسيوم (مكان التعلم العام الذي أنشأه «أرسطو» عام 334 قبل الميلاد)، حيث كانوا يقارنون أحجام اللحى والحواجب المقطبة في تأمل متمعن لما يعنيه كل منها.

فكيف يكون لدى الأشخاص المشغولين في عصرنا هذا، وقت للاطلاع على الفلسفة ودراستها؟ كم مرة تسمع الناس يشتكون من أنه «لا توجد ساعات كافية في اليوم؟».

«الحياة بدون تفكر لا تستحق أن تعاش».

سقراط

ليس من المستغرب أن أصل كلمة «philosophy» - بالإنجليزية والتي تعني الفلسفة - مشتق من اللغة اليونانية القديمة، وهي عبارة عن كلمة مكونة من جزأين، الجزء الأول «philo» ويعني «المحبة» أو «الاعتناء أو الاهتمام»، والثاني «sophos» ويعني «الحكيم» أو «الحكمة»، لذا فإن كلمة «philosopher» أي الفيلسوف تعني الشخص الذي يحب الحكمة والمعرفة ويهتم بهما، في حين أن التعريف الموحد في القاموس لكلمة «الفلسفة» هو أنها «دراسة الطبيعة الأساسية للمعرفة والواقع والوجود»؛ أي محاولة اكتشاف إجابات لبعض الأسئلة مثل مَن نحن، وما سبب وجودنا في هذه الحياة.

إنه هدف نبيل، لكن من أين نبدأ؟ لا بد أن نبحث عبر آلاف السنوات من الفكر الإنساني، والأفكار والمفاهيم المتنوعة والمتناقضة، وجميعها مكرسة لترسيخ حقائق أساسية عن وجودنا ككائنات واعية. ولكن إذا كانت الفلسفة - كما أراها - تدور حول الكشف عن الحقيقة، فأين يمكننا العثور عليها؟ وكيف نبدأ بحثنا؟

هذا الكتاب هو «دليلك التمهيدي لفهم الفلسفة»؛ فهو عبارة عن بحث سهل الفهم منظم بشكل منهجي، يضم المفاهيم الأساسية ومجالات المعرفة التي تعد جزءًا لا ينفصل عن حياة الإنسان

وأفكاره. تخيل هذا الكتاب كأنه قائمة طعام تحتوي على أطباق صغيرة من الوجبات الفلسفية اللذيذة.

يتناول الفصل 1 موضوعًا مهمًّا؛ وهو فلسفة السعادة، وكان من الجيد البدء به. رأى «أفلاطون» أن السعادة هي الهدف الأساسي للوجود، ومن هنا جاء مفهوم «*يودايمونيا*» الذي وضعه - والذي يعني السعادة - ووصفه في القاموس اليوناني القديم *Definitions* بـ «الخير الأعم الذي يتكون من كل الخيرات الفرعية، والقدرة الكافية على العيش في رفاهية وسعادة، والتحلي بالمثالية في الفضائل الأخلاقية، وامتلاك الموارد الكافية لأي كائن حي»، لكن «أرسطو» المعاصر لـ «أفلاطون» يشير إلى أنه في حين أن الرغبة في العيش بهناء هي بالتأكيد رغبة بديهية - فليس هناك شخص عاقل يرغب في العيش بشقاء أو أن يعيش حياة غير سعيدة - فإن القضية الحقيقية هي تحديد أي الجوانب والأنشطة التي تمكّن المرء من العيش في هناء وتحقيق السعادة؛ لذا فإننا نبدأ، في الفصل 1 بعنوان «فلسفة السعادة»، باليونان القديمة، ثم ننتقل إلى الشرق حيث الصين والهند، قبل أن نقفز إلى الأمام عدة آلاف من السنين إلى الدنمارك؛ التي تعد كما يقال «أسعد دولة» في العالم. وليس من المستغرب أن الأمور نفسها التي أرّقت وأثارت حيرة القدماء لا تزال مصدر قلق كبير في بحثنا اليوم عن السعادة والرفاهية. وإحدى القضايا الرئيسية في السعي نحو تحقيق *يودايمونيا* هي مدى تأثير سعينا الشخصي للسعادة على الأشخاص من حولنا، وعلى مجتمعاتنا الأوسع، والعالم بشكل عام.

أما الفصل 2 الذي يحمل عنوان فلسفة الأخلاقيات والآداب، فيتعمق في مفهومي «الحق» و«الباطل» - أي بين «الصواب» و«الخطأ»، حيث نجد أن كلمة «truth» التي تعني «الحقيقة» مشتقة من اللغة الإنجليزية القديمة «*triewp*» والتي كانت تحمل معنيين في السياقات المختلفة؛ فهي إما تعني الصدق والإخلاص والولاء (ومن ثم «الصدق مع الذات»)، أو تعني شيئًا - أي مفهوم مادي أو ميتافيزيقي - ثابتًا لا يتغير. يذهب الفيلسوف «توما الأكويني» (1225 - 1274) إلى أبعد من ذلك ويقول إن الحقيقة هي «توافق العقل مع الأشياء»، ومن ثم إذا كنا نثق بالمعلومات التي نتلقاها، ونستوعبها، من خلال تصوراتنا الحسية، ولا ننكرها أو نحرّفها في أذهاننا، فإننا نصل إلى ما يُعرَف بـ «نظرية مطابقة الحقيقة». ببساطة إذا التقطت مطرقة وضربت شخصًا على رأسه، فإن النتيجة ستكون معلومة تمامًا.

يتناول الفصل 3 -بعنوان فلسفة العلوم- موضوعًا مهمًّا جدًّا، حيث يقدم حقائق تتوافق مع إدراكنا للأشياء والأفكار. ويزخر التاريخ بأمثلة لتلك الحقائق التي اعتقد الناس صحتها علميًّا، ثم ثبت خطؤها فيما بعد. إذن كيف نستجيب لـ «نظرية الحقيقة» التي طرحها الفيلسوف «توما»، في حين أن ما هو صحيح في حقبة ما قد لا يكون كذلك في الحقبة التالية؟ إذن كيف نحدد الحقائق الملموسة عن الكون وكل شيء فيه؟ وعلى نحو متزايد لفت المفكرون الانتباه إلى أمر طمس الحقيقة بالرأي؛ وذلك من خلال الحقائق التي يتم

تقديمها لدعم الرأي، والعكس صحيح، حيث يتم تقديم الرأي على أنه حقائق.

يلقي الفصل 4 -الذي يأتي تحت عنوان فلسفة السياسة والسلطة - نظرة على الهياكل والآليات الخاصة بكيفية سعي التنظيم الاجتماعي لتحقيق *يودايمونيا* أي السعادة، كما وصفها «أرسطو»، أو على الأقل تقديم صورة عنها. يقول الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي «ميشيل فوكو» (1926-1984): «لكل مجتمع نظام الحقيقة الخاص به». ويسترسل قائلًا: «إن الواجب الحقيقي للفلاسفة هو الكشف عن الآليات والأمثلة التي تمكّن المرء من التمييز بين الأقوال الصحيحة والكاذبة». لقد أصبح هذا الأمر صعبًا جدًّا في ظل المناخ السياسي والاجتماعي الحالي، حيث يبدو بشكل متزايد أننا قد أصبحنا في عصرٍ بات فيه البحث عن تعبير دامغ عن الحقيقة، بالمعنى التاريخي والموثوق به، وسيلة لإيجاد طرق منطقية *لعدم* تقديم الحقيقة، بل لإخفاء وطمس المعلومات (لكن هذا مجرد رأي وليس «حقيقة»). يرى «فوكو» أن السلطة «موجودة في كل مكان» وأنها متوارية في الكيانات والخطابات.

أما الفصل 5 -الذي يحمل عنوان فلسفة الدين- فهو رائع بالمعنى التاريخي والمعاصر؛ لأنه يثري النقاشات الحالية حول تدريس عملية الخلق أو «الإبداع الإلهي» في المدارس الأمريكية. ومن الجيد أيضًا أن ندرس كيف تم الترويج للفضائل الحميدة المتمثلة في «الصدق والإخلاص والولاء» في الماضي.

يتناول الفصل 6 -الذي بعنوان فلسفة اللغة- كيفية استخدام الكلمات، وكيفية نقل المعنى وتلقّيه وتحريفه. لقد قيل إننا نعيش في عصر «ما بعد الحقيقة»، والذي يعرّفه الفيلسوف الأفريقي المولد «إيه. سي. جرايلينج» (وُلد عام 1949) بأنه ظاهرة ثقافية؛ حيث يكون «الرأي أكثر قيمة من الحقائق». يتم إصدار الأحكام على أساس المشاعر والعواطف، بدلاً من الحقائق الملموسة التي لا يمكن دحضها. وتستمر رحلة البحث عن الحقيقة، وهو ما يقودنا إلى...

أما الفصلان الأخيران: فهما الفصل 7 الذي جاء بعنوان فلسفة الحب، والذي كنت آملُ أن ينهي تلك الرحلة القصيرة عبر تاريخ الفكر بطريقة إيجابية، لكن الأفكار المتشائمة لـ «جان بول سارتر» (1905-1980)، و«فريدريش نيتشه» (1844-1900)، أحبطت تلك الخطة، والفصل 8 -الذي جاء بعنوان فلسفة المستقبل- مناقشة عامة حول الفكر المعاصر، إلى جانب محاولة توقع ملامح مستقبل الفلسفة.

كيفية التعامل مع أسلوب «هيجل» الفلسفي

قد تثير أعمال «جورج فيلهلم هيجل» (1770ـ1831) بعض الدهشة. من المعروف أن أسلوبه في تناول الواقعية المطلقة والمنهج الجدلي معقد جدًّا؛ لأنه يهتم بالمعارضات والتناقضات (الفرضيات ونقيضها) في البحث عن المزج بينهما أو الحقيقة العليا. يصعب فهم أسلوب «هيجل» ـ أي أنه صعب حقًّا ـ فهو ليس شخصًا يمكنك أن تقرأ مؤلفاته من أجل المتعة، وأحد الانتقادات الشائعة التي تُوجَّه لأعماله هو أنه غالبًا ما يفترض أن القراء لديهم معرفة شاملة بتاريخ الفكر الفلسفي، كما أن أسلوبه بالتأكيد ليس واضحًا أو موجزًا تمامًا، فهو غير مناسب للأشخاص المشغولين. رغم أن تأثيره على الفلسفة التحليلية واضح جدًّا ولا يقبل الشك، فإن القارئ العادي سيجد المزيد من الإثراء الفكري، والمتعة عندما يقرأ كتاب «بول فايرآبند» *Against Method* أو أقوال «نيتشه» المأثورة في كتاب *Human, All Too Human*، يمكنك أن تجرب قراءة كتب «هيجل» إذا أردت، لكنني حذرتك...

1

ما أنت بحاجة لمعرفته عن

فلسفة السعادة

لقد فكر الفلاسفة في موضوع السعادة، وطرحوا العديد من الأسئلة المتعلقة بهذا الأمر منذ القرن الخامس قبل الميلاد: ومن أمثلة هذه الأسئلة: ما الذي يشكل السعادة؟ وكيف نحققها؟ وكذلك: كيف نعرف متى نكون سعداء حقًّا؟ إن مفهوم السعادة جزء لا ينفصل عن معنى الحياة، بالإضافة إلى كونها بمثابة الترياق للصراعات والنزاعات، ورغم ذلك تظل السعادة أمرًا مجردًا وصعب المنال.

سقراط وأرسطو مؤسسا الفلسفة الغربية

عاش «سقراط» (469-399 قبل الميلاد)، والذي يُعدّ الأب الروحي للفلسفة الغربية، في أثينا طوال حياته، وتحدى أهل أثينا

من خلال إثارة أسئلة تتعلق بالحقيقة والعدالة، كما أنه اتبع مبدأين رئيسيين؛ أولهما أن «الحياة دون تفكر لا تستحق أن تُعاش»، والمبدأ الثاني أن العماد الذي تستند إليه حكمته هو إدراكه أنه لا يعرف «أي شيء» على الإطلاق. لكن كان مفهوم السعادة عنصرًا أساسيًّا في أفكار «سقراط» ومعتقداته، وكان يتمحور حول فكرة إمكانية تحقيق السعادة من خلال سيطرة المرء على رغباته لخلق الانسجام داخل النفس البشرية. وقد أكد أن هذه العملية ستنتج في النهاية حالة رائعة من السكينة الداخلية، والتحرر من قوى العالم الخارجي المفسدة. ورغم أن «سقراط» لم يدوّن شيئًا من أفكاره، فإن تأثيره العميق على تلميذه «أفلاطون»، وتلميذه اللاحق «أرسطو»، كان له بالغ الأثر في تطور الفلسفة الغربية.

أكاديمية «أفلاطون»

أنشأ «أفلاطون» مدرسته الخاصة بتعليم الفلسفة في بستان مخصص للبطل «أكاديموس»، وهو ما يفسر سبب تسميتها بالأكاديمية، ويفسر هذا بدوره سبب تسمية طلاب العلم بالأكاديميين.

كانت النظرة السائدة للسعادة في زمن «سقراط» مترسخة بقوة في المفاهيم الميتافيزيقية عن تصاريف الدهر. قال «سقراط» إن السعادة في الواقع لا تتحقق عن طريق المصادفة، بل من خلال المساعي البشرية والتفكير الدقيق في القوى التي تؤثر في حياة الإنسان. كان يُنظر إلى السعادة على أنها هبة يمنحها الخالق الأشخاص الذين يحبهم، وأن السعي وراءها يعد من قبيل الغطرسة والغرور اللذين لن يؤديا إلا إلى السقوط والانهيار. وتم تجسيد وجهة النظر هذه كثيرًا في المسرحيات الإغريقية الكلاسيكية؛ حيث يصنع الأبطال الرئيسيون نهايتهم المأسوية بأنفسهم دون أن يدركوا ذلك.

قال «سقراط» أيضًا إن مفتاح السعادة يعني تحويل التركيز بعيدًا عن ملذّات الجسد والاهتمامات المادية للعالم، إلى التركيز على الروح. وقال أيضًا إنه من خلال مواءمة رغباتنا، يمكننا أن نتعلم تهدئة ذهننا، ومن ثم الوصول إلى حالة رائعة من السكينة.

قدّم «أفلاطون» (428 - 347 قبل الميلاد) آراء «سقراط» في سلسلة من الأعمال المعروفة باسم The Dialogues، وهذه الأعمال عبارة عن:

- حوارات «سقراط» مع مجموعة من الأشخاص المختلفين: سياسيين وكُتاب مسرحيين وأعضاء بارزين في المجتمع الأثيني ومجموعة من الطلاب والأصدقاء.

- يتألف كل حوار من تحدي «سقراط» لهؤلاء الأشخاص لشرح أساس معتقداتهم.

- ومن خلال عملية مطوَّلة من الأسئلة والأجوبة - أي الطريقة السقراطية - يَدحض «سقراط» حججهم وافتراضاتهم، ويكشف المنطق المغلوط في تفكيرهم، ويسلط الضوء على العيوب والتناقضات.

- والحوار الوارد في الكتاب المعروف باسم *The Symposium* هو مثال ملائم لكل من الطريقة السقراطية وأفكار «سقراط» حول السعادة.

دارت الحوارات الواردة في كتاب *The Symposium* في حفل عشاء، حيث طرح موضوع السعادة، وتمت دعوة كل ضيف لإلقاء كلمة على شرف «إيروس» رمز الحب والرغبة. يقول «إريكسيماكوس»، الطبيب الأثيني البارز، إن «إيروس» بصفته رمزًا للحب قادر على منح السعادة للبشر، ووافقه الرأيَ الكاتب المسرحي «أريستوفان»؛ حيث قال إنه «يمد يد العون للبشر... ويقضي على تلك الشرور، والتي ما إن يبرأ منها الإنسان حتى يشعر بسعادة بالغة». كما يرى «إريكسيماكوس» أن «إيروس» يمنح القوة لكل الأشياء، ما يجعلها تنبض بالحياة، بما في ذلك الرغبة البشرية، ومن ثم فهو مصدر الخير في العالم. ويتوسع «أريستوفان» في هذه النقطة بقوله إن «إيروس» هو من يوحّد البشر من خلال عاطفة الحب، أو بالأحرى

من خلال التزاوج، لكن كان لدى «سقراط» بعض أوجه الاعتراض على «إيروس».

قال سقراط إن «إيروس» لديه بعض الجوانب السلبية؛ فنظرًا لأنه رمز للرغبة، فإنه يكون في حالة مستمرة من الرغبة الشديدة التي لا يمكن إشباعها أبدًا، وبذلك لا يمكن اعتبار «إيروس» رمزًا مقدسًا حقيقيًّا؛ لأن الرمز المقدس بحكم تعريفه، يجب أن يكون مكتفيًا ذاتيًّا، وله تأثير أبديّ، لكن «سقراط» بدأ يحوِّل تركيزه إلى جانب آخر، حيث قال إن «إيروس» رمز مهم تمامًا في سعي الإنسان نحو السعادة؛ لأنه يمثل التحول من الطبيعة البشرية الناقصة إلى الطبيعة السامية. يوفر «إيروس» الدافع وراء الرغبة، والذي يبدأ بالبحث عن الملذات الجسدية، لكن يمكن تقييده وتوجيهه نحو السعي وراء المعاني السامية للعقل.

وحجة «سقراط» هي أن حب الأشياء الجميلة أمر عابر وسطحي، لكن مفهوم الجمال في الوقت نفسه هو مفتاح السعادة والإشباع. والتأمل في الجمال بحد ذاته يعني أن الروح ستكون في وئام. ويعتقد «سقراط» أن هذه العملية تمثل لحظة نشوة وسعادة كبيرة؛ حيث يتم إدراك حقيقة وجود المرء. يقول سقراط:

إذا كانت حياة المرء تستحق أن تُعاش، فذلك عندما يكتسب هذه الرؤية لروح الجمال؛ فبمجرد أن يكتسب هذه الرؤية، لن تغريه مرة أخرى جاذبية الذهب والملبس... ولن يهتم أبدًا بذلك الجمال الذي كان يبهره ويخطف أنفاسه...

وعندما يميز المرء هذا الجمال سيدرك الفضيلة الحقيقية، وليس الفضيلة المزيفة.

في نهاية المطاف أدى تشكيك «سقراط» المستمر في الحكمة السائدة والمعتقدات المنتشرة على نطاق واسع، إلى نشوب خلاف بينه وبين السلطات الأثينية، وقُبض عليه وحُوكم وأدين بتهمة «إفساد الشباب» و«احتقار الرموز المقدسة» من قِبل محكمة شعبية، وخُيّر بين العيش في المنفى أو عقوبة الإعدام. ونظرًا لرسوخ قناعاته، اختار الموت؛ لأنه كان يعتقد أن العيش في المنفى ينتهك مبادئ حرية الفكر؛ لذا حُكم عليه بأن يتجرع السم، ويقال إنه ظل يشرح فلسفته بسعادة وابتهاج حتى النهاية.

«السعادة هي الطريق»

في عام 500 قبل الميلاد تقريبًا عاش أحد أشهر فلاسفة الهند وكان زعيمًا روحيًّا وفيلسوفًا من الجزء الشرقي من الهند القديمة (نيبال الحديثة). تشكل تعاليمه حجر الأساس للفلسفة الشرقية القديمة، وتتبع ما يُعرف بـ «الطريق الأوسط» نحو التنوير، والذي يسعى لتحقيق توازن متناغم بين ملذات الحواس والزهد.

في البداية تم نقل حكمة هذا الفيلسوف شفهيًّا على يد أتباعه بعد وفاته، ولم تظهر مكتوبة إلا بعد مئات السنين، فكان يرى أن السعادة ليست غاية في حد ذاتها، ولكنها وسيلة، حيث قال: «لا يوجد طريق للسعادة، فالسعادة هي الطريق»، بعبارة أخرى، استشعر

المتعة والرضا من الرحلة نفسها، وكن حاضرًا في كل لحظة منها، ولا تنشغل بمحاولة الوصول لوجهة مثالية.

«جون كابات زين» والوعي التام

كان لممارسة التأمل الانعكاسي في فلسفة ذلك الفيلسوف الهندي الشهير والتعاليم الشرقية القديمة تأثير ملحوظ في الأساليب الحديثة للعلاج النفسي، مثل العلاج السلوكي المعرفي والوعي التام.

بدأ الأكاديمي الأمريكي «جون كابات زين» اهتمامه بالفلسفة الشرقية القديمة في أواخر السبعينيات من القرن العشرين، وبحث عن طرق يمكن من خلالها استخدام الممارسات التأملية في الطب. أسس عيادة «الحد من التوتر» في كلية الطب بجامعة ماساتشوستس، ووضع برنامجًا مدته ثمانية أسابيع لممارسة التأمل والهاثا يوجا ـ والذي يسمى برنامج الحد من التوتر القائم على الوعي التام ـ للتغلب على التوتر والقلق. حقق برنامج الحد من التوتر القائم على الوعي التام نجاحًا كبيرًا، وقد استخدم «كابات زين» الوعي التام كأسلوب علاجي للتغلب على الحالات الطبية الأخرى، بما في ذلك الاكتئاب والذهان والألم المستمر.

يشير هذا الرأي إلى أن السعادة غير دائمة وسريعة الزوال، ولا توفر الرضا الدائم، ومن ثم تؤدي في الواقع إلى الألم والمفهوم الهندي القديم لكلمة *سامسارا* - التي تعني حلقة مفرغة من المعاناة. من أجل الهروب من حالة *سامسارا* والوصول إلى نيرفانا- التي تعني حالة من التسامي الروحي - ينصح الفيلسوف الهندي بتجنب الرغبات الضارة من خلال ممارسة التأمل الانعكاسي؛ الذي يحقق «الرؤية المحررة». ويتمثل الحل في إيجاد طرق للاستمتاع بالرحلة، والتجربة الحية الحالية، وتجنب القلق المدمر بشأن المستقبل أو الماضي.

الوعي التام

تتمثل المبادئ التوجيهية للوعي التام في تخصيص جزء من حياتنا لاتخاذ خيارات أكثر وضوحًا، واكتساب قدرة أكبر على السيطرة من خلال التفكر والاتزان، واتخاذ قرارات إيجابية، والعثور على السعادة في نهاية المطاف من خلال ملاحظة التفاصيل الإيجابية في حياتنا وعلاقاتنا. رغم أن «جون كابات زين» (انظر الجدول) قد قلل من أهمية تأثير الفلسفة الشرقية القديمة في وسائله العلاجية، ورغم أنه ذكر أن الوعي التام يأتي ضمن إطار علمي وطبي، وليس ضمن إطار ديني، فإن هناك تجسيدًا واضحًا في أساليبه العلاجية لشعار الفيلسوف الهندي بأن «السعادة هي الطريق».

في تلك الأثناء ماذا كان رأي الثقافة الصينية في السعادة؟

يمكن العثور على أفكار مماثلة حول فلسفة السعادة وقوة التفكير الإيجابي، في الثقافة الصينية متمثلة في تعاليم أحد أشهر الفلاسفة الصينيين، الذي عاش في عصر الفيلسوف الهندي الشهير نفسه. يُعرف هذا الفيلسوف الصيني الشهير بأقواله البليغة التي يكثر الاقتباس منها، ويقول بعض الأكاديميين إنها تمثل أساس مذهبه للمبادئ الأخلاقية. وتعد *تعاليمه* – وهي مجموعة من المحادثات التي دارت بينه وبين تلاميذه، والتي جمعها أتباعه بعد وفاته – الأساس الذي تقوم عليه فلسفته. وعندما طُلب منه تحديد طبيعة السعادة، أجاب قائلاً: «كلما زاد تأمل الإنسان في الأفكار الجيدة، أصبح عالمه الخاص، والعالم ككل، أفضل كثيرًا».

وقد تناول «لاو تسو» (المعروف أيضًا باسم «لاو تزه» أو «السيد القديم») هذا الشعار بالتفصيل، في كتابه الفلسفي الكلاسيكي *Tao Te Ching*. ويعد «لاو تسو» مؤسس أحد المذاهب الفلسفية الصينية القديمة، وهو شخصية شبه أسطورية؛ ذلك أن هناك القليل من الأدلة التاريخية التي تتحدث عنه، فليس هناك سوى مجموعة من الحكايات الشعبية الباهرة عن زيارته للدول الغربية على ظهر جاموس الماء، والعديد من الأساطير المتناقضة الأخرى، لكن يمكننا القول:

- أجمع الباحثون المعاصرون في الثقافة الصينية القديمة، على أن كتاب *Tao Te Ching* قد ألّفه وكتبه عدة أشخاص مختلفين؛ نظرًا لاختلاف الأساليب البلاغية الواردة فيه، حيث تم المزج بين الأقوال المأثورة الكلاسيكية من الفلسفة الصينية، والآراء المعارضة، وربما كان ذلك من أجل تسليط الضوء على أوجه القصور في الآراء المتشددة.

- أحد العناصر الأساسية لمذهب «لاو تسو» هو مفهوم *وو وي*؛ والذي يترجم بشكل غامض إلى «اللافعل» أو «الفعل من خلال عدم الفعل».

- فلسفة لاو تسو هي الحالة الطبيعية للحياة، وتعني من الناحية المجازية النهر المتدفق أو المجرى المائي، لكن الأيديولوجيات والطموحات والرغبات تدخل في صراع مع تلك الحالة الطبيعية، وتعوق التدفق الطبيعي للنهر.

- ولكن من خلال تجسيد فضائل التواضع والبساطة والممارسة التأملية لحالة *زوانج* (وتعني الدخول في حالة تشبه النشوة حيث يتم إفراغ العقل من كل أفكار الذات والهوية؛ أي «الغوص في غياهب النسيان»)، سيتدفق النهر الأبدي ليغمر هذه العوائق المفروضة ذاتيًّا على الطبيعة.

- يقول «لاو تسو» في كتاب *Tao Te Ching*: «إذا كنت مكتئبًا فأنت تعيش في الماضي، وإذا كنت قلقًا فأنت تعيش في المستقبل، وإذا كنت في حالة سلام فأنت تعيش في الحاضر».مكتبة سُر مَن قرأ

«ديموقريطوس».. «الفيلسوف الضاحك»

وُلد «ديموقريطوس» (460-370 قبل الميلاد) - الذي يعني اسمه باللغة اليونانية «المختار من قِبل الشعب» - في أبديرا؛ وهي مدينة يونانية قديمة بمنطقة تراقيا؛ وهي ميناء حيوي يقع بالقرب من الحدود مع تركيا الحديثة. ورغم أنه معروف بشكل أساسي بأنه أحد مؤسسي المذهب الذري، فيُعتقد أنه كتب أكثر من ستين عملًا تناول خلالها مجموعة متنوعة من الموضوعات، بما في ذلك الأخلاق والفضيلة وكيفية عيش حياة سعيدة. تنقل الروايات المعاصرة لحياة «ديموقريطوس» ملامح شخصيته، وتفيد بأنه كان يحظى بشخصية متقدة الحماس ومرِحة، لهذا أطلق عليه لقب «الفيلسوف الضاحك». وإلى جانب أبحاثه وكتاباته العلمية والفلسفية، يقال إنه كان كثير الترحال، وقام بزيارة مدينة بابل القديمة، كما قام برحلات إلى كل من مصر وشمال إفريقيا والهند.

تتمثل مساهمة «ديموقريطوس» في فلسفة السعادة، في سلسلة من الاقتباسات والأقوال المأثورة التي ظلت باقية حتى الآن في

كتابات متفرقة نُسبت إليه من قِبل الكُتاب والفلاسفة الآخرين، والتي لم تتم نسبتها إلى أية مدرسة فكرية أو عمل آخر. ونظرًا لأنه كان يتمتع بشخصية ودودة ومرحة، فقد كان يرى أن البهجة وسيلة فعالة للحفاظ على نقاء الروح، حيث قال: «لا تكمن السعادة في امتلاك قطعان من الماشية أو أوانٍ من الذهب، بل إنها مثل التعاسة تنبع من الروح».

كان «ديموقريطوس» يؤمن بأن حياة الإنسان متقلبة وقصيرة ومليئة بالمخاوف والمشكلات، كما أن غالبية المصاعب التي تؤدي إلى شعورنا بالتعاسة تنبع من التوق إلى ما ليس لدينا (مثل المال والمكانة والسلطة)، بدلاً من الامتنان لما لدينا لنكون سعداء. يقول «ديموقريطوس»: «إن شعورنا بالبهجة أو الرفاهية ينشأ من خلال الشعور المعتدل بالمتعة بما نمتلكه في حياتنا؛ فلا غنى يدوم، ولا فقر يدوم، لكنهما يسببان اضطرابًا كبيرًا في الروح، والأرواح التي تثيرها اضطرابات كبيرة لا تتمتع بالاستقرار ولا بالابتهاج».

باختصار، كان «ديموقريطوس» يؤمن بالحياة المعتدلة التي تقوم على القناعة والرضا، والحذر من الأشياء التي «يحسدها أو يعجب بها» الآخرون. من خلال الملاحظة الدقيقة لـ «حياة من هم في كرب ومعاناة» سيدرك المرء أن الحياة المعتدلة القائمة على القناعة ذات قيمة كبيرة جدًّا، ومن خلال مقاومة الرغبة في نيل المزيد «ستنتهي معاناة الروح، ويعيش المرء حياة أكثر هدوءًا، ويتخلص من الأمور السيئة في هذه الحياة مثل الحسد والغيرة والحقد».

موت «ديموقريطوس» وقوة الخبز الطازج

كان مهرجان سيزموفوريا واحدًا من أهم المهرجانات الخاصة بالنساء في التقويم اليوناني القديم، وكان يقام على شرف «ديميتر» - وهي رمز مقدس لدى اليونانيين - وابنتها «بيرسيفوني»، وكان يُمنع دخول الرجال، وكان الغرض من هذا المهرجان إقامة الشعائر الدينية والتضرع من أجل أن تُرزق النساء بالأطفال، وزيادة خصوبة الأرض الزراعية، ومن ثم زيادة المحصول. تضمّن أحد التقاليد المتبَعة في هذا المهرجان قيام النساء بإعداد خبز طازج، وتقديمه كهدايا.

تم اختيار أخت «ديموقريطوس» لتكون واحدة من النساء اللاتي يمارسن الشعائر الدينية، ويقمن بتقديم الخبز الطازج للحاضرات في المهرجان، وكانت منزعجة من اضطرارها لترك «ديموقريطوس» المريض آنذاك ليموت وحيدًا، لكنه أكد لها أنه سيحاول التماسك لحين عودتها، وقد نجح بالفعل في ذلك، واندهشت أخته كثيرًا حين وجدته لا يزال على قيد الحياة في نهاية الاحتفالات. وادعى أنه تمكّن من الصمود من خلال استنشاق رائحة الخبز الطازج، والتي كانت تتخلل الهواء أثناء مهرجان سيزموفوريا.

الحياة الجمالية مقابل الحياة الأخلاقية

إن الجوانب الثلاثة لفلسفة السعادة التي تتكرر باستمرار، هي: التركيز على رفض التأثير الضارّ للرغبة، وتعلم احترام الحياة بالطريقة التي نعيشها، وتقدير قيمة الاعتدال.

كان الفيلسوف الدنماركي «سون كيركيجو» (1813-1855) يؤمن أيضًا بأهمية العيش في اللحظة الحالية، عندما كتب بحثه العلمي عن الأخلاق عام 1844 والذي كان يحمل عنوان Either Or. وغالبًا ما كان يُنظر إليه على أنه مؤسس الفلسفة الوجودية، والتي يتم تصويرها أحيانًا بشكل خطأ على أنها ذات طابع كئيب بشكل متعمد، فقد ميز «كيركيجو» بين الحياة الجمالية والحياة الأخلاقية الحقيقية، حيث تتسم الحياة الجمالية بإشباع الرغبة والطموح، وتؤدي إلى القلق وتضارب الإرادة الحرة. كان يعتقد أنه بمجرد أن ينبذ الناس الحياة الجمالية، فإنهم حينها يمتلكون الحرية في عيش الحياة كما هي، واكتساب السعادة والرضا من تجاربهم، يقول «كيركيجو»: «الحياة ليست مشكلة يجب حلها، لكنها واقع تجب معايشته».

إن القضايا التي تثيرها فلسفة السعادة تحمل في جوهرها شيئًا من التناقض. على مدار ألفي عام، ركز الفلاسفة، الذين حاولوا تعريف السعادة وكيفية تحقيقها، على العوامل التي تعوق قدرتنا على تحقيق السعادة، وأسباب شعورنا بالبؤس واليأس. رفض المفكرون، بدءًا من «سقراط» حتى «كيركيجو»، الرغبة والطموح الأعمى والمتعة

الحسية بوصفها وسائل لتحقيق السعادة، وأكدوا أن عيش اللحظة الحالية، والاستمتاع بالوقت الحاضر من أفضل الوسائل لتحقيق السعادة. كما كتب الفيلسوف الروماني «سينيكا» (4 قبل الميلاد - 65 بعد الميلاد)، في مجموعة مقالاته الأخلاقية: «إن أعظم النعم البشرية قائمة بداخلنا وفي متناول أيدينا؛ فالرجل الحكيم يرضى بنصيبه مهما كان، دون أن يتمنى ما لا يملك».

أصل كلمة «angst»

كان «كيركيجو» أول من أدخل كلمة «angst»؛ والتي تعني «القلق الشديد»، إلى اللغة الإنجليزية، والتي تُستخدم الآن على نطاق واسع، وتعني - باللغة الدنماركية «القلق» أو «الرهبة»، ونستخدمها لوصف الشعور العميق بعدم الأمان والخوف، وقد استخدمها لأول مرة في كتابه *The Concept of Anxiety* 1844، حيث قال إن حرية الاختيار تجعل الأشخاص في حالة قلق دائمة بشأن مسئولياتهم تجاه الخالق، أما بالنسبة للفلاسفة الوجوديين اللاحقين، فكان الأمر يتعلق أكثر بالمسئوليات تجاه الذات ومبادئ المرء وتجاه الآخرين.

لِم تُعد الدنمارك أسعد دولة في العالم؟

في مارس 2018، صنف تقرير السعادة العالمية - وهو مسح سنوي يشمل 155 دولة - الدنمارك على أنها أسعد دولة في العالم للعام السابع على التوالي. يتم إجراء دراسات حول «الرفاهية الشخصية» من خلال التحليل العلمي للبيانات الموضوعية حول معدلات الجريمة ومتوسط الدخل والمشاركة المدنية والصحة، ثم تتم مقارنة هذه البيانات مع التحليل النوعي لعمليات المسح حول المشاعر الإيجابية والسلبية، والتأملات الشخصية العامة. رغم أن الدنمارك تتمتع بالاستقرار السياسي، والجودة العالية، وأنظمة الرعاية الصحية والتعليم المجانية، ومعدلات الجريمة المنخفضة نسبيًّا، فإن تكلفة المعيشة مرتفعة، وكذلك الضرائب.

أما أكثر شيء من مؤشرات السعادة؛ والذي يسهم في احتلال الدنمارك المرتبة الأولى كأسعد دولة في العالم، فهو تلك الظاهرة الثقافية المعروفة باسم Hygge «*هوجاه*».

عادةً ما تترجم كلمة *هوجاه* إلى «الدفء» أو «الحميمية»، ويتم استخدامها في سياق التجارب المشتركة، والتفاعلات الاجتماعية التي تقوم على التوافق والتناغم. وقد تنطبق هذه الكلمة على وصف تناول غداء ممتع مع صديق قديم، أو الذهاب في نزهة عائلية على شاطئ البحر، أو تناول كوب دافئ من مشروب الشيكولاتة بالقرب من المدفأة المشتعلة في ليلة شتاء باردة. يكمن جوهر كلمة *هوجاه* في أنها تتعلق بالتواصل البسيط والمتوازن مع الآخرين، والاستمتاع

بالوقت معهم. يتم استخدام الكلمة في سياقات متعددة؛ على سبيل المثال، من المتعارف عليه توجيه شكر لمستضيفي حفل عشاء على تلك الأمسية «*المليئة بالدفء والحميمية*»، ويعد من سوء الأدب عدم فعل ذلك.

«كيم كيركيجوداشيان»: حكيمة تويتر

في عام 2012، ظهر حساب على موقع تويتر تحت اسم «كيم كيركيجوداشيان»، وسرعان ما أصبح لديه العديد من المتابعين، حيث جمع بين فلسفة الفيلسوف الدنماركي الوجودي «سون كيركيجو» ونصائح الموضة والجمال، والآراء العامة لنجمة تليفزيون الواقع «كيم كارداشيان». ومن بين عبارات «كيم» التي تحتوي على هذا المزيج الرائع على موقع تويتر: «لقد حصلت للتو على أفضل رذاذ للتسمير!!! هناك شعور لا يوصف بالسعادة يتدفق بداخلنا بشكل غير مبرر»، و«أكاد لا أستطيع التعرف على نفسي، فعقلي يشبه البحر الهائج، فأنا أجرب ماسكارا جديدة».

أدى نجاح حساب «كيم كيركيجوداشيان» إلى إنشاء حسابات مماثلة مثل حساب «كانتي ويست»، حيث يقوم بدمج فلسفة القرن الثامن عشر التنويرية لـ «إيمانويل كانتي» مع التغريدات الغاضبة لمغنِّي الراب «كانياه ويست».

لقد أصبحت كلمة *هوجاه* راسخة في الثقافة الدنماركية وفي نفوس أهلها، حتى إنه تم إجراء دراسات نفسية لتحديد كيف يمكن للبلدان الأخرى تعزيز التقدير المتبادل لأوجه السعادة والتجارب البسيطة المشتركة. ورغم أن «كيركيجو» لم يبتكر هذه الكلمة، فإنه كتب على نطاق واسع عن عيش الحياة كتجربة تحررنا من القلق والتوتر واليأس، وبذلك كان من أوائل المؤيدين لمفهوم *هوجاه*.

2

ما أنت بحاجة لمعرفته عن

فلسفة الأخلاقيات والآداب

غالبًا ما يصعب التمييز بين هذين الفرعين من الفلسفة؛ وهما فلسفة الأخلاقيات والآداب؛ هناك اختلاف بينهما على المستوى الأساسي، لكن الفلاسفة سعوا جاهدين لمحاولة التفريق بينهما.

التفرقة الكبيرة

إن كلمة «ethics» مشتقة من الكلمة اليونانية القديمة «ēthikós» التي تعني «ما يتصل بشخصية المرء»، وكلمة «morals» مشتقة من الكلمة اللاتينية «mos» (وبالتبعية كلمة «moralis») التي تعني «العادات».

من المفارقة أنه يُعتقد أن الفيلسوف والمؤرخ الروماني «شيشرو» (106-43 قبل الميلاد) هو أول من صاغ كلمة

«moralis» لمحاولة ترجمة الكلمة اليونانية القديمة «ēthikós» اللاتينية، أما الآن فهناك فرق كبير بينهما؛ حيث إن كلمة الأخلاقيات تتعلق بالقضايا الأساسية المرتبطة بشخصية الإنسان، وتحديد الطريقة التي يجب أن يعيش بها حياته، ولا سيما عند مواجهة قرارات صعبة. أما الأخلاق فتتعلق بالعادات أو الممارسات المستمدة من مجموعة المبادئ التوجيهية؛ على سبيل المثال، السلوكيات الأخلاقية الخاصة بمجتمع معين مستمدة من العادات والتقاليد السائدة في هذا المجتمع.

لكن هناك بعض الصعوبات في التمييز الواضح بين الأخلاقيات والآداب. من المفترض أن لدى العديد من المؤسسات الحديثة؛ بدءًا من المؤسسة الطبية، إلى القانونية، ومن المؤسسات التجارية، إلى وسائل الإعلام، قواعد أخلاقية واضحة، ومن المفترض كذلك أنه تم وضعها من خلال الإجماع على الطريقة الصحيحة للتصرف في ظل ظروف ومواقف معينة. يقدم الجدال الحالي حول القتل الرحيم في مهنة الطب مثالًا مفيدًا يبين كيف أن محاولة التمييز بين الأخلاقيات والآداب يمكن أن تكون مربكة ومعضلة؛ لأنه في حين أنه يمكن القول بأن إيذاء النفس بمساعدة الطبيب يتعارض مع قَسَم أبقراط، على العكس من ذلك يمكنك معارضة السلوكيات الأخلاقية التي تجعل المريض يعاني دون داعٍ؛ لذا، توخيًا للوضوح، فإنني سأنظر إلى الأخلاقيات على أنها فرع من الفلسفة يتناول المسائل المتعلقة بالسلوكيات الأخلاقية للبشر من

خلال تعريف بعض المفاهيم مثل الخير والشر، والصواب والخطأ، والفضيلة والرذيلة، والعدالة والجريمة.

تضم فلسفة الأخلاقيات ثلاث مدارس أو مجالات بحث معروفة على نطاق واسع، وهي:

- *الأخلاقيات المعيارية* وهي المدرسة الأكثر تقليدية، ويعود تاريخها إلى اليونان القديمة، وتتناول القضايا العملية، وكيفية تحديد مسار العمل «الصحيح» أو كيفية عيش «حياة عادلة أو صالحة».

- *الأخلاقيات الفوقية* وهي التي تتناول المعنى النظري ومرجعية الفرضيات الأخلاقية، ومدى إمكانية تحديد قيمتها الحقيقية.

- *الأخلاق التطبيقية* وهي تتضمن المسائل المتعلقة بالالتزام فيما يتعلق بأفعالنا، سواء بشكل فردي أم جماعي.

الأخلاقيات المعيارية: كيف نعيش؟

تُسمى الأخلاقيات المعيارية أحيانًا الأخلاقيات التوجيهية، وتهتم في المقام الأول بتحديد الكيفية التي ينبغي، بل يتحتم أن تكون عليها الأشياء، وتقدير ما يجعل تصرفات معينة، صائبة أو خاطئة،

جيدة أو سيئة، والهدف منها من الناحية المبدئية هو التوصل لفهم مجموعة من المبادئ أو الإرشادات الشاملة لضبط السلوكيات بطريقة صحيحة أخلاقيًّا. تتضمن الأخلاقيات المعيارية ثلاثة مناهج مختلفة، لكنها مترابطة؛ وهي: *العواقبية (مبدأ العبرة بالنتيجة)*، *والأخلاق الواجبة*، *وأخلاقيات الفضيلة*.

العواقبية: هل الغاية تبرر الوسيلة؟

غالبًا ما يُشار إلى العواقبية في الدوائر الفلسفية باعتبارها نموذجًا غائيًّا للأخلاقية. إن الكلمة اليونانية «*telos*» تعني «الهدف» أو «الغرض»، بينما كلمة «*logos*» تعني «السبب» أو «المعنى»، لذا فإن العواقبية، أو الغائية تنص على أن القيمة الأخلاقية لفعل معين تعتمد على عاقبة أو نتيجة هذا الفعل. تفيد وجهة النظر هذه بأن الفعل السليم أخلاقيًّا في موقف معين تكون له عواقب جيدة، وأن الفعل المُنافي للأخلاق تكون له عواقب سيئة. وفي هذا السياق تواجه النظريات العواقبية أسئلة مثل:

- ما العواقب التي يمكن اعتبارها عواقب جيدة؟
- من الذي يستفيد بشكل أساسي من فعل أخلاقي معين؟
- كيف نحكم على قيمة العواقب؟ ومن الذي يقرر ما إذا كانت جيدة أم سيئة؟

يُعرَف الفيلسوف اليوناني القديم «إبيقور» (341-270 قبل الميلاد) بأنه أحد أوائل المؤسسين للأخلاقيات العواقبية، وهو أحد أتباع مذهب المتعة في الفلسفة اليونانية، والذي كان يؤمن بأن المتعة هي أعظم خير في حياة الإنسان، وهي الهدف الأسمى للوجود، لكن كثيرًا ما يُساء تفسير مذهب المتعة، ولا سيما اليوم، حيث يُنظر إليه على أنه السعي السافر نحو تحقيق ملذات الحواس، وهذا ليس صحيحًا، فقد عرّف أتباع مذهب المتعة القدامى المتعة في المقام الأول بأنها العيش دون ألم وتحقيق حالة من البهجة والسكينة. يمكن تحقيق حالة *نيرفانا* من خلال الوصول إلى حالة *طمأنينة* (التحرر من الخوف)، والتحرر من الكرب (الألم العقلي)، و*حالة أبونيا* (التحرر من الألم الجسدي).

كان يُنظر إلى القيام بالفعل الذي يمنح المتعة في النهاية على أنه العاقبة الصحيحة، من وجهة نظر الأخلاقيات العواقبية، لكن هناك جزءًا من تعاليم «إبيقور» وغيره من التابعين لمذهب المتعة، تم تفسيره بإساءة فهمه، وهو أنه إذا كانت الرغبة في تحقيق المتعة تجلب الألم، فلا بد أن ذلك نتيجة للاختيار الخطأ. على سبيل المثال، دعا «إبيقور» إلى الاعتدال والاستمتاع بالأشياء البسيطة في الحياة؛ مثل الطعام والمأوى، وعدم الانشغال بالثروة والأشياء المادية. يجب الاستمتاع بكوب من العصير مع العشاء، لكن من المحتمل أن يسبّب الإفراط الشديد في تناول هذا العصير تلبكًا معويًّا وانتفاخًا، وربما المرض؛ لذا فإن الاعتدال في هذا المثال يعني الحكمة والقدرة على التحكم في الرغبات من أجل تحقيق السعادة والاستقرار النفسي.

بحلول القرن التاسع عشر، تحولت الأخلاقيات العواقبية من التركيز على «السعادة» الفردية» إلى «السعادة الجماعية» من خلال ظهور مذهب المنفعة (انظر الفصل 4) وأعمال كل من «جيريمي بينثام» (1748 - 1832)، و«جون ستيوارت ميل» (1806 - 1873). لكن ما الذي يتضمنه مذهب المنفعة؟

- ينصبّ التركيز الأساسي لهذا المذهب على استخدام كلمة المنفعة لتعريف الرفاهية العامة أو السعادة، وكان تفسير «ميل» في هذا الصدد، هو أن «المنفعة» هي عاقبة الأفعال الجيدة.

- تكون المنفعة ملموسة عندما يقوم الأشخاص بالأفعال من أجل المنفعة الاجتماعية أو رفاهية العديد من الأشخاص، وليس بضعة أفراد فقط.

- في كتاب *Utilitarianism 1863*، يقول «ميل» إن الأشخاص يرغبون حقًّا في تحقيق السعادة، فلماذا يرغب أي شخص في أن يكون تعيسًا؟! ونظرًا لأن كل فرد يرغب في تحقيق سعادته الشخصية، فلا بد أننا جميعًا نرغب في أن يشعر الجميع بالسعادة، وبذلك نسهم في تحقيق منفعة اجتماعية أكبر للجميع.

- لذا فإن الفعل الذي يحقق أكبر قدر من السعادة من أجل منفعة المجتمع هو أفضل عمل يمكن القيام به.

- كانت وجهة نظر «ميل» مقتبَسة من وجهة نظر مُرشده ومعلّمه السابق «بينثام» في مقولته البديهية الشهيرة: «إن تحقيق أعلى درجات السعادة لأكبر عدد من الأشخاص هو أساس الأخلاق».

مذهب منفعة الفعل مقابل منفعة القواعد

تنقسم المنفعة إلى مذهبين مختلفين؛ هما: منفعة الفعل، ومنفعة القواعد. في مذهب منفعة الفعل يتم تقييم مبدأ المنفعة أو النتيجة التي تحقق أكبر قدر من السعادة وفقًا للخيار الذي يتم اتخاذه في موقف معين. أما في مذهب منفعة القواعد فيحدد مبدأ المنفعة صحة القواعد المقبولة للسلوك السليم أو مجموعة من المبادئ أو القواعد الأخلاقية. هل التبس عليك الأمر؟ حسنًا إذن، إليك مثالًا:

إذا كان أحد أقاربك يعاني نوبة قلبية، وتم استدعاء سيارة الإسعاف، لكن الساعة كانت السادسة صباحًا في يوم عطلة عامة، وكانت خدمات الطوارئ تعاني نقص الموظفين، وعامل الوقت مهم جدًّا، لذلك كان عليك نقله إلى المستشفى بنفسك. عندما تتحول إشارات المرور إلى اللون الأحمر، هل تتجاهلها وتستمر في قيادة السيارة، وتزيد من فرص إنقاذ روح، أم تنتظر تحوُّل لون الإشارة إلى اللون الأخضر؟

الجواب وفقًا *لمذهب منفعة الفعل* هو أنه يجب عليك تجاهل إشارة المرور الحمراء والاستمرار في القيادة. رغم انتهاك القانون، فإن هذا يمنحك فرصة أفضل لتحقيق المنفعة؛ لأنه يزيد فرص

إنقاذ شخص من الموت. وإذا أخذنا في الاعتبار مدى الوقت الذي تقود فيه السيارة، فسنجد أن حركة المرور تكون قليلة جدًّا على الطريق آنذاك؛ لذا فإن فرص التسبب في وقوع حادث ضئيلة جدًّا، ورغم أنه قد يتم تصويرك بواسطة كاميرا المرور، وإحالتك إلى المحكمة، فإنها مخاطرة أنت مستعدّ للإقدام عليها من أجل خدمة الصالح العام.

الجواب وفقًا *لمذهب منفعة القواعد* هو أن تنتظر حتى تغيُّر لون إشارة المرور إلى الأخضر؛ فقد يتسبب الفعل المتهور، المتمثل في تجاهل الضوء الأحمر، في وقوع حادث يؤدي إلى إصابة وخسارة بعض الأرواح، فقد وُضعت قاعدة التوقف عند ظهور لون إشارة المرور الأحمر من أجل المساعدة على حماية جميع مستخدمي الطريق، وللحماية من القيادة غير المسئولة كذلك، فإذا تجاهل الجميع الضوء الأحمر في كل مرة كانوا فيها في عجلة من أمرهم، فستقع كارثة، وستتلاشى قيمة «منفعة» القاعدة.

سيحاول *أتباع مذهب منفعة الفعل* تبرير الأمر من خلال القول بأن التصرف الإيثاري، المتمثل في بذل الشخص كل ما بوسعه لمحاولة إنقاذ حياة شخص، يظل هو الخيار الصحيح، بغض النظر عن النتيجة الكارثية المحتملة. وإذا وصل السائق إلى المستشفى سالمًا، فإن «الغاية تبرر الوسيلة». أما *أتباع مذهب منفعة القاعدة* فسيقولون إن تحديد الصواب أو الخطأ في هذه الحالة يعتمد على الأساس المنطقي وراء سَن القاعدة، بغض النظر عن أية ظروف مخففة.

الأخلاق الواجبة: الالتزام الأخلاقي

إن الأخلاق الواجبة هي نظرية الأخلاقيات التي تركز على مدى كون فعل ما «صوابًا» أو «خطأ» من الناحيتين الظاهرية والضمنية، في مقابل عواقب ذلك الفعل. يمكن في بعض السياقات اعتبار مذهب منفعة القاعدة شكلاً من أشكال الأخلاق الواجبة؛ لأنه ينص على أن بعض القواعد والواجبات تكون دائمًا صحيحة أخلاقيًّا. ونجد أن المقطع «deon» في كلمة deontology - التي تعني الأخلاق الواجبة - مشتق من اللغة اليونانية ويعني «الواجب». تؤكد الأخلاق الواجبة أن القرارات المتعلقة بكيفية التصرف في بعض المواقف المعينة تعتمد على مراعاة واجب الفرد تجاه نفسه، وتجاه حقوق الآخرين ورفاهيتهم - وهو ما نطلق عليه «الالتزام الأخلاقي». ومع ذلك هناك فئات مختلفة من الأخلاق الواجبة، حيث قد تنشأ الالتزامات الأخلاقية من مصدر خارجي أو داخلي، مثل مجموعة من القواعد المتأصلة في الكون (النموذج اليوناني القديم المعروف باسم المذهب الطبيعي الأخلاقي)، أو القانون الديني، أو مجموعة من القيم الشخصية أو الثقافية، لكن بغض النظر عن طبيعة مصدر الالتزام، سواء كان داخليًّا أم خارجيًّا، يمكن أن يحدث تعارض مع الرغبات الشخصية.

نظرية الأمر الإلهي: أمرنا «الخالق» بأن نفعل ذلك

تتمحور الأشكال التقليدية للأخلاق الواجبة حول الدين ومفهوم نظرية الأمر الإلهي؛ وهو شكل من أشكال الأخلاق الواجبة ينص على أن الفعل يعد صوابًا إذا قضى «الخالق الأعظم» بأنه كذلك، وأن الفعل يعد إلزاميًّا واجبًا فقط، إذا أمرنا «الخالق الأعظم» بالقيام به. وهكذا تنشأ الالتزامات الأخلاقية من أوامر «الخالق الأعظم»، ويعتمد مدى «صواب» أيّ فعل على قيامنا به لأنه واجب.

استخدمت بعض السلطات الحاكمة، نظرية الأمر الإلهي كوسيلة لاكتساب القوة والسيطرة على المجتمعات والجماعات. إن فكرة الطاعة العمياء لأوامر السلطات الحاكمة، بغض النظر عن العواقب، تعد مشكلة كبيرة، ورغم ذلك فقد استمر هذا الشكل من الأخلاق الواجبة منذ أوائل العصور الوسطى، حيث انتشرت في مختلف المجتمعات الدينية في جميع أنحاء العالم، وتتجلى في مجموعة متنوعة من الأشكال؛ بدءًا من العادات البسيطة، وحتى العادات المتشددة جدًّا. هذا لا يعني أن النظرية هي بالضرورة مفهوم سلبي أو مقيد، بل على العكس فإن العديد من «الأوامر» إيجابية وتدعو إلى الإيثار.

تعد الأساليب المنهجية الحديثة والتوجهات الثقافية أكثر تعاطفًا الآن مع الاختيار الفردي، مما كانت عليه في أيام «رينيه ديكارت» (1596 - 1650)، ومع ذلك ورغم تلك القيود التي كانت مفروضة في عصره، تمكّن «ديكارت» من التمييز بوضوح

بين العقلانية ومفهوم الفضيلة الشخصية. كان «ديكارت» يرى أن «الخالق الأعظم» هو الذي منح البشر القدرة على التفكير العقلاني؛ والتي تكمن في صميم المعرفة الإنسانية. لقد منحَنا الله القدرة على التفكير العقلاني (أنا أفكر، إذن أنا موجود)، ويعد التفكير العقلاني أمرًا كافيًا أثناء البحث عن الخير والصلاح، فهما أمران يجب أن نسعى إليهما، ما يؤدي إلى اكتسابنا فضائل يتضمنها التفكير السليم والتي تُوجه أفعالنا في أي موقف، وتقودنا نحو الرضا والسعادة.

لذلك فإن تحلّينا بالعقلانية هو السبيل نحو التحلي بتوجه متزن تجاه الحياة، كما يقول «ديكارت»، في كتابه *Principles of Philosophy 1647*: «الفلسفة الحقيقية... تُعلمنا أنه حتى في خضم الكوارث الأكثر حزنًا والآلام الأكثر مرارة، يمكننا دائمًا أن نكون سعداء؛ شريطة أن نعرف كيفية استخدام تفكيرنا العقلاني بشكل صحيح»، لقد عرّف الفلسفة بأنها دراسة الحكمة، ولا يعني بكلمة «الحكمة» التصرف بحصافة في شئوننا اليومية فحسب، بل المعرفة التامة بكل الأشياء التي يستطيع الإنسان معرفتها، سواء من أجل تسيير الحياة، أو من أجل الحفاظ على الصحة واكتشاف جميع أنواع المهارات»، رغم أن «ديكارت» لم يذكر صراحة نظرية الأمر الإلهي، فإنه كان يقول إن «الخالق الأعظم» موجود في كل مكان، وإنه لا يتوقف عن التفكير فيه، كما يقول في كتابه *Meditations 1641*: «إن مجرد حقيقة وجودي وتفكيري الدائم في الخالق الأعظم؛ أي الله، يعد دليلاً واضحًا على الوجود الفعلي لهذا الخالق العظيم معي في كل مكان... ليس من المستغرب أن الله الذي خلقني، رسّخ هذه

الفكرة بداخلي، لتكون بمثابة دليل دامغ على منحنا عقلًا مفكرًا»؛ لذلك فإنه أيًّا كان ما يقر «ديكارت» بصحته من الناحية الأخلاقية من خلال إعمال العقل والتحلي بالحكمة، فهو أيضًا ما قرر «الخالق الأعظم» صحته أخلاقيًّا منذ بدء الخليقة.

«إيمانويل كانت» والضرورة الحتمية

كان «إيمانويل كانت» (1724 - 1804) شخصية بارزة في عصر التنوير الألماني، وقد بنى أفكاره على فلسفة «ديكارت»؛ لذا كانت فلسفته نابعة من دراسة القدرة البشرية على التفكير العقلاني. أما ما اختلف فيه «كانت» عن «ديكارت» فهو اتباع نهج علماني فيما يتعلق بالأخلاق الواجبة، على عكس نهج «ديكارت» الروحاني (وإن كان ذلك غامضًا إلى حدٍّ ما في حالة سلفه). رفض «كانت» أيضًا العواقبية كأساس للأحكام أو الأفعال الأخلاقية؛ لأنه كان يؤمن بالواجب الشامل المستمد من إعمال العقل، كما كان يرى أن هناك أفعالاً خاطئة دائمًا، بغض النظر عن نتيجتها، وأن دوافع الشخص الذي يقوم بالفعل هي التي تحدد ما إذا كان هذا الفعل صحيحًا أم خطأ، وليست العواقب المترتبة على هذا الفعل.

«كانت» الساعة البشرية

وفقًا للشاعر الألماني وكاتب المقالات والناقد الأدبي «هاينريش هاينه» (1797 - 1856) في كتابه *On the History of Religion and Philosophy in German* (1832) كان «كانت» رجلًا شديد الدقة، ولا سيما في الالتزام بالمواعيد، حيث يقول: «أنا لا أعتقد أن الساعة الكبيرة في دار العبادة [في كونيجسبيرج] تعمل بشكل يومي أكثر دقة ومنهجية من «إيمانويل كانت» الذي كان يقطن تلك المدينة؛ فقد كان يقوم بكل شيء في وقت محدد، بدءًا من الاستيقاظ في الصباح واحتساء القهوة والكتابة وقراءة المحاضرات وتناول الطعام والمشي. كان الجيران يعرفون أن الساعة قد دقّت الثالثة والنصف بالضبط عندما يخرج «إيمانويل كانت» من منزله مرتديًا معطفه الرمادي الضيق، وبيده عصاه الإسبانية، ويذهب إلى شارع لينـدن أفنيو الضيق الذي تصطفُّ على جانبيه أشجار الزيزفون، الذي يسمى حتى يومنا هذا «ممشى الفيلسوف».

في أطروحته الرائدة Groundwork if the Metaphysics if Morals 1785، يحدد «كانت» ثلاث صيغ تشكل أساس ما سماه «الضرورة الحتمية»؛ وهو إطار أخلاقي يمثل دور الإرادة البشرية عند التحرر من التأثيرات والقوى الخارجية. في الصياغة الأولى

يميز «كانت» بين ما يسميه «الواجبات الكاملة» و«الواجبات غير الكاملة». تتكون الواجبات الكاملة من مبادئ عامة يمكن تطبيقها على الجميع ولا تكون مرهونة بالظروف، أما الواجبات المنقوصة فهي مواقف أكثر مرونة، وتسمح بتفسيرات مختلفة، وتعتمد على السياق والظروف.

يستخدم «كانت» كلمة «القاعدة» بمعنى المبدأ المحفّز للفعل ويذكر في الصياغة الأولى أنه يجب على الأشخاص «التصرف وفقًا للقاعدة التي يمكن في الوقت نفسه تعميمها لتصبح قانونًا عالميًّا لا يحمل في طياته أي تناقض». وبعبارة بسيطة وخالية من مصطلحات «كانت» المبهمة في كثير من الأحيان، يمكن تلخيص الصياغة الأولى على غرار «القاعدة الذهبية» أو «أخلاقيات المعاملة بالمِثل» التي تقول «عامل الناس كما تحب أن يعاملوك».

تتعلق الواجبات غير الكاملة لـ «كانت» بمعاملة الآخرين؛ والتي تقول: «تعامل مع جميع البشر- بمن فيهم أنت أو أي شخص آخر- ليس باعتبارهم وسيلة، بل دائمًا وأبدًا كغاية»، يعتقد «كانت» أن استخدام الآخرين في الأفعال كوسيلة لتحقيق غاية، بغض النظر عن النتيجة، هو أمر مُنافٍ للأخلاق؛ لأن هذا يسلب الشخص الآخر إرادته الحرة وحقوقه.

تتعلق صياغة «كانت» الثالثة والأخيرة بتطبيق الواجبات الأخلاقية على المجتمعات، وتنص على أنه «يجب على كل كائن عقلاني أن يتصرف دائمًا كأنه عضو تشريعي في مملكة عامة من الغايات»، يتشابه هذا الأمر في بعض الجوانب مع مذهب المنفعة في

تأكيده أن صحة أي فعل تتحدد من خلال مقدار الخير الذي يُحدثه هذا الفعل لأكبر عدد من الأشخاص. يذكر «كانت» أن تعبيرات الإرادة البشرية يجب أن تعد واجبات أخلاقية (أي مثالية)، بشرط أن يلتزم الجميع بها كقوانين عامة. إذا كان الكذب، على سبيل المثال، فعلاً خطأ، فيجب أن يتبنى الجميع في العالم بأسره هذا الأمر كقاعدة عامة؛ لأن الكذب يهدم الثقة ويشوّه الحقيقة.

تتمثل إحدى مشكلات الأخلاق الواجبة لدى «كانت» في أنها لا تضع العواقب في اعتبارها أثناء تقييمها للصواب أو الخطأ، ما نتج عنه افتقارها للمرونة عند مواجهة بعض المواقف الصعبة؛ حيث نجد أن هناك حالات يمكن فيها ترجيح كفة الكذب على القانون العام؛ لأن ذلك يجنّبنا وقوع كارثة. يُعرف الاختبار الكلاسيكي لهذا القانون العام باسم معضلة القاتل، لـ «كانت»، والتي تطرح سؤالاً عما إذا كان «الكذب أمرًا صائبًا إن كان سيتسبب في إنقاذ حياة شخص آخر؟». ويبدو أنه فشل في هذا الصدد على غرار التعارض بين مذهب منفعة الفعل ومنفعة القاعدة.

إن الإنسان المحكوم عليه بالحرية، يحمل عبئًا كبيرًا على كاهله؛ حيث يكون مسئولاً عن العالم وعن نفسه كسبيل للوجود والعيش.

جان بول سارتر في كتابه *BEING AND NOTHINGNESS*

أخلاقيات الفضيلة: كيف تكون إنسانًا فاضلًا؟

إن أخلاقيات الفضيلة نظرية أخلاقية معيارية تختلف عن الأخلاق الواجبة والعواقبية في أن التركيز يتحول من تقييم الأفعال (والعواقب) والقيمة الأخلاقية، إلى تأكيد فضائل العقل والشخصية. تناقش أخلاقيات الفضيلة طبيعة الفضائل وتعريفها: ما جوانب الشخصية الفردية التي يمكن اعتبارها جوانب فاضلة، وكيف يتم اكتسابها وتطبيقها، هل الفضائل الفردية جزء من الطبيعة البشرية العامة أم أنها ناتجة عن التعددية الثقافية.

حدد أرسطو، في كتابه *Nicomachean Ethics*، ثماني عشرة «فضيلة» مطلوبة لعيش حياة فاضلة، مع التمييز بين الفضائل المتعلقة بالعواطف والرغبات (الفضائل الأخلاقية)، وفضائل العقل (الفضائل الفكرية).

الفضائل الأخلاقية

- *الشجاعة* - في مواجهة المخاوف الفردية.
- *الاعتدال* - في أوقات السعادة والألم.
- *السخاء* - الجود بالثروة والممتلكات.
- *السمو* - عدم التباهي بالثروة والممتلكات.
- *الشهامة* - إظهار التواضع عندما يكرَم المرء.
- *الطموح السليم* - الرغبة الواقعية في السلطة والنفوذ.
- *الصدق* - في التعبير عن الذات.

- *خفة الظل* - إضفاء روح البهجة على المحادثة.
- *الود* - في التعامل مع الآخرين.
- *التواضع* - في مواجهة الخزي أو الوقاحة.
- *الاستياء المبرر* - كردّ فعل على الأذى أو الضرر الذي يقع علينا أو على الآخرين.

الفضائل الفكرية

- *الذكاء* - لفهم ما هو حقيقي وصادق.
- *العلم* - لفهم العالم الطبيعي.
- *الحكمة النظرية* - لفهم الحقائق الأساسية وإعمال العقل.
- *الفهم* - استيعاب أفكار الآخرين وآرائهم.
- *الحكمة العملية* - تطبيق إجراءات متغيرة على الظروف المتغيرة.
- *المنطق السليم* - الرأفة والتفهم في إصدار الأحكام.
- *البراعة الفنية* - المهارة في أحد الفنون أو الحِرف.

نظرًا لأن أخلاقيات الفضيلة تركز على كينونة الشخص في مقابل ما يفعله، فإنها تحاول تحديد الخصائص التي تجعل المرء يتصرف وفقًا للمبادئ والآداب. وفي هذا السياق فإن تصرفات المرء مجرد مظهر من مظاهر الذات الداخلية الفاضلة؛ أي الآداب الشخصية. لا يمكن اعتبار الأفعال (أو العواقب) في حد ذاتها انعكاسات كافية للآداب؛ لأن هذا يختزل الفضيلة في مجرد مجموعة من المواقف

العملية، بدلًا من النظر إليها باعتبارها قانونًا شاملًا يجب العيش وفقًا له؛ لذا تسعى أخلاقيات الفضيلة جاهدة من أجل إرساء الآداب لدى المرء، حتى يتخذ خيارات أخلاقية باستمرار في جميع المواقف.

أحد أوجه الاعتراض الأساسية على أخلاقيات الفضيلة هو الخلاف حول ما يشكّل «فضيلةً» ما، وما إذا كان يمكن تطبيق ذلك بشكل ملائم على الثقافات والظروف المختلفة. أو بعبارة أخرى هل قائمة الفضائل اليونانية القديمة يمكن أن تنطبق مباشرة على الأفراد في القرن الحادي والعشرين؟

الأخلاقيات الفوقية: الواقعية الأخلاقية مقابل اللاواقعية

الأخلاقيات الفوقية هي الفرع الثاني للأخلاقيات، والتي تتناقض مع الفرع الأول أي الأخلاقيات المعيارية؛ لأنها تركز على طبيعة الفرضيات الأخلاقية، والتصريحات، والمناهج والأحكام الأخلاقية. وفي حين أن الأخلاقيات المعيارية تهتم بإرساء أساس لمسار العمل الصحيح وتحليل أسئلة من قبيل «ماذا عليَّ أن أفعل؟»، و«كيف نعيش؟»، وخلال ذلك تتبنى مواقف أخلاقية معينة على حساب مواقف أخرى - تهتم الأخلاقيات الفوقية بأسئلة من قبيل «كيف يمكننا التمييز بين الخير والشر؟»، و«ما الخير؟». يمكن تقسيم الأسئلة الفوقية إلى ثلاثة مجالات منفصلة:

- *الدلالة اللفظية الأخلاقية*: تهتم بتأكيد معنى المصطلحات الأخلاقية أو إثبات غياب المعنى أو القيمة الحقيقية في تلك المصطلحات.

- *الأسئلة الوجودية الأخلاقية*: تتناول طبيعة الأحكام الأخلاقية لمحاولة إثبات ما إذا كانت هذه الأحكام مطلقة أم نسبية.

- *نظرية المعرفة الأخلاقية*: تدرس كيف يمكننا دعم أو رفض الأحكام الأخلاقية، وما إذا كان من الممكن معرفة الصواب من الخطأ.

الواقعية الأخلاقية مقابل اللاواقعية

أحد الآراء الشائعة بين الفلاسفة الذين يعود تاريخهم إلى «أفلاطون» هو الواقعية الأخلاقية (أو الموضوعية الأخلاقية)؛ أي أن هناك أشياء مثل الحقائق والقيم الأخلاقية، وأنها موضوعية وتتواجد جنبًا إلى جنب مع الحقائق العلمية والرياضية. إن الحقائق الأخلاقية منفصلة عن تصوراتنا أو معتقداتنا ومشاعرنا وتوجهاتنا تجاهها. تدّعي الواقعية الأخلاقية أن الفرضيات الأخلاقية يمكن أن تخضع للعقل والمنطق لتحديد ما إذا كانت صحيحة أم خاطئة، وتؤيد الرأي القائل بأن هناك فرضيات معينة تكون صحيحة أو خاطئة دائمًا، لكن هذا يعد ذا ميزة متفردة عند تطبيقه على الخلافات الأخلاقية؛

حيث يقول المنطق إن الفرضيتين الأخلاقيتين اللتين تتعارضان مع بعضهما لا يمكن أن تكونا صحيحتين أو خاطئتين في الوقت نفسه.

أحد الانتقادات الرئيسية التي تُوجَّه للواقعية الأخلاقية أنه على الرغم من أنها توفر وسيلة لحل الخلافات الأخلاقية، فإنها تقدم القليل من التفسير لكيفية أو سبب ظهور الخلافات الأخلاقية في المقام الأول. إذا كان البشر لديهم معرفة بالحقائق الأخلاقية، فلماذا تحدث الخلافات الأخلاقية من الأساس؟ في محاولة للتوصل إلى حل بشأن هذه المفارقة، يمكن تقسيم الواقعية الأخلاقية إلى فرعين مختلفين:

- *المطلقية الأخلاقية* - هناك معايير مطلقة يمكن إصدار أحكام أخلاقية على أساسها، وهي تقوم على اعتقاد أن الحقائق الأخلاقية دائمًا ما تكون إما صحيحة أو خطأ، ولا تتغير وفقًا للظروف.

- *النسبية الأخلاقية* - تختلف المعتقدات الأخلاقية للأشخاص باختلاف الثقافات، ومن ثم يمكن اعتبار أكثر من موقف أخلاقي صحيحًا في مواقف معينة. على سبيل المثال، في بعض الثقافات تقوم عقوبة الإعدام على المبدأ الأخلاقي «العين بالعين»، بينما ترى بعض الثقافات الأخرى أن إنهاء حياة شخص أمر خطأ دائمًا من الناحية الأخلاقية؛ ولهذا يمكن أن تكون النسبية الأخلاقية إما

وصفية؛ وذلك عندما تختلف التوجهات والمعتقدات الشائعة بين الأشخاص في ثقافة معينة، أو معيارية عندما تختلف الحقائق الأخلاقية من ثقافة لأخرى.

يأتي في مقابل الواقعية الأخلاقية اللاواقعية الأخلاقية؛ وهي مدرسة الأخلاقيات الفوقية التي تفيد بأنه لا توجد قيم أخلاقية موضوعية. يمكن أن تتضمن اللاواقعية الأخلاقية إما إنكار وجود الخصائص الأخلاقية على الإطلاق، وإما قبول وجودها؛ لكن بشرط أن تعتمد على العقل وليست موضوعية أو مستقلة. يُعرف أحد أشكال اللاواقعية الأخلاقية بالذاتية الأخلاقية، وتقول إنه لا توجد فرضيات أخلاقية موضوعية، وإن الأحكام الأخلاقية هي في الواقع عشوائية؛ لأنها لا تعبر عن حقائق ثابتة لا يمكن إنكارها. بدلًا من ذلك، يتم اعتبار الأحكام الأخلاقية صحيحة أو خطأ من خلال توجهات أو أعراف المراقبين لها، وأن أي حكم أخلاقي يدل فقط على توجه أو رأي أو تفضيل أو شعور شخص يرى أنها صحيحة. ومن ثم فإن اعتبار أي حكم أخلاقي صحيحًا يقتضي مجرد موافقة الشخص المعنيّ.

وترى الذاتية الأخلاقية أيضًا أن الأحكام المتعلقة بالسلوك البشري تتشكل من خلال التصورات الشخصية، وتقتصر عليها في نواحٍ عديدة. على سبيل المثال، قد يجادل شخص يؤمن بالذاتية الأخلاقية بأن عبارة «كان هتلر شخصًا شريرًا» تعبر عن الرفض الشديد لأعماله الوحشية التاريخية، ولا تعبر عن صحة (أو خطأ)

كون «هتلر» في الواقع شريرًا. قد يختلف الآخرون مع عبارة: «كان هتلر شخصًا شريرًا» على أسس أخلاقية بحتة، بينما يتفقون في الوقت نفسه مع جميع الأدلة التاريخية والحقائق غير التقييمية حول «هتلر»، وهم بذلك لا يصدرون حكمًا خطأ، بل يعبرون فقط عن توجه وإدراك مختلف. أحد الاعتراضات الرئيسية على فكرة أنه لا توجد حقائق أخلاقية ثابتة يمكن الإقرار بصحتها بشكل موضوعي- هو أنها تخلق حالة من الفراغ الأخلاقي، حيث لا يوجد فرق بين الصواب والخطأ، الأمر الذي يؤثر بشكل خطير في كيفية تصرف الأفراد وسَير المجتمعات.

يرتبط الجدل بين الواقعية الأخلاقية (وجود حقائق أخلاقية شاملة) واللاواقعية الأخلاقية (الاعتقاد بعدم وجود حقائق أخلاقية) ارتباطًا وثيقًا بقضايا أساسية في العلوم الدينية (انظر الفصل 5). وقد وضع الفلاسفة مثل «جي. إل. ماكي» (1917 - 1981) ما يُعرَف بنظرية الخطأ؛ والتي استخدموها لمعالجة أسئلة مثل: «لماذا يوجد شر في الحياة؟».

«هيوم» الفيلسوف المستنير

كان «ديفيد هيوم» (1711 - 1776) شخصية بارزة في عصر التنوير الإسكتلندي (الذي ضم مجموعة من المفكرين الذين انخرطوا في دراسة الفلسفة الأخلاقية والسياسية خلال أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر). أشهر أعماله هو كتابه *A Treatise on Human Nature (1789-*)، وقد حاول فيه وضع «منهج

علمي للإنسان» لوصف الطبيعة البشرية، بما في ذلك جوانب الإدراك، والهوية، والأخلاق المتعلقة بالأفراد والمجتمعات. يتلخص موقف «هيوم» الأخلاقي في أن العواطف والرغبات والمشاعر هي أصل الأخلاق؛ وليس العقل، وحجته في ذلك أن «الأخلاق تثير المشاعر، وتنتج الأفعال أو تمنعها. أما العقل فليس له أي دور في هذا الشأن. لذلك فإن القواعد الأخلاقية ليست استنتاجات ناتجة عن العقل».

مقصلة «هيوم»: مشكلة حقيقة الشيء/ وما يجب أن يكون عليه

يرجع الفضل إلى «هيوم» في كونه أول فيلسوف يناقش ما يعرَف بـ «مشكلة حقيقة الشيء وما يجب أن يكون عليه». يذكر، في كتابه *A Treatise on Human Nature* ، تلك النزعة التي يرى أنها أصبحت سائدة لدى بعض الكُتاب والفلاسفة- ولا سيما عند وصف الأخلاقيات - وهي التبديل بين استخدام العبارات الإيجابية أو الوصفية المتعلقة بـ «حقيقة الشيء» (والتي يمكن إثباتها من خلال التجربة)، والعبارات المعيارية («ما يجب أن يكون عليه الشيء»). يرى «هيوم» أنه ليس من الواضح إذا كانت هناك علاقة مباشرة بين العبارات الإيجابية والمعيارية، فإذا كنا نعرف حقيقة شيءٍ ما كما هو، فكيف يمكننا أن نعرف ما يجب أن يكون عليه هذا الشيء. تُعرَف مشكلة حقيقة الشيء/ وما يجب أن يكون عليه، باسم مقصلة "هيوم"؛ لأنها تقطع العلاقة الضمنية في الغالب (التي يرى "هيوم" أنها مستحيلة من الناحية المنطقية) بين العبارات أو الافتراضات الإيجابية والمعيارية.

الأخلاقيات التطبيقية:
التطبيق العملي للنظرية

الأخلاقيات التطبيقية (الفرع الثالث للأخلاقيات) هي تطبيق النظريات الأخلاقية على مواقف فعلية في الحياة الخاصة والعامة. تتعلق الأخلاقيات التطبيقية بمجالات مثل العلوم والرعاية الصحية والطب، والأعمال التجارية والسياسة. تتضمن أمثلة المعضلات الأخلاقية الحيوية في علوم الحياة استخدام الأجنّة البشرية في البحث، أو توزيع الموارد النادرة في مجال الطب والرعاية الصحية على المرضى أو العجزة، أو القضايا البيئية المتعلقة بالتلوث والبيئة.

يُنظَر عادة إلى الأخلاقيات التطبيقية على أنها مختلفة عن الأخلاقيات المعيارية والفوقية، حيث تحاول إيجاد تطبيقات عملية للنظريات المختلفة. على سبيل المثال، الأخلاق الواجبة التعددية هي شكل من أشكال الأخلاقيات المعيارية التي ذكرها الفيلسوف الإسكتلندي «دبليو. دي روس» (1877 - 1971)، في كتابه *The Right and The Good (1930)*. لقد تناول الأخلاقيات من منظور العواقبية والمنفعة من خلال القول بأن القيمة الأخلاقية للفعل يتم تحديدها من خلال عواقبه، وأن هناك واجبات أخلاقية بعينها تكون جيدة دائمًا.

حدد «روس» سبعة واجبات *ظاهرية* أو مبادئ أخلاقية مقبولة تجب مراعاتها عند تحديد مسار العمل في أي موقف محدد:

- *الإحسان* - وهو واجب مساعدة الآخرين من أجل زيادة سعادتهم ورفاهيتهم، وتخليصهم من الألم والمعاناة أو تحسين شخصيتهم.

- *عدم إيذاء الآخرين* - واجب عدم التسبب عن عمد في إلحاق الضرر أو الأذى بالآخرين من خلال ممارسة القسوة.

- *العدالة* - واجب ضمان حصول الناس على ما يستحقونه من العدل والمساواة.

- *تطوير الذات* - واجب تحسين أنفسنا على الصعيدين العملي والروحي من أجل أنفسنا والمجتمعات الأوسع.

- *رفع الضر* - واجب تقديم تعويض إلى شخص ما أو رفع الضر الذي تسببنا فيه في موقف ما، نتيجة عواقب أفعالنا الشخصية.

- *الامتنان* - واجب إظهار الامتنان الملائم تجاه الأشخاص لتقديمهم المساعدة لنا أو حال استفادتنا من أفعالهم.

- *الوفاء بالوعد أو الإخلاص* - واجب الوفاء بالوعود الصريحة والضمنية، بما في ذلك الوعد الضمني (انظر

الضرورة الحتمية لـ «كانت» فيما سبق) بقول الحقيقة دائمًا.

لا يقدم «روس» تسلسلًا هرميًّا للأهمية فيما يتعلق بواجباته الظاهرية، ولا يدّعي أن هذه هي الواجبات الوحيدة التي يجب على الأفراد أخذها بعين الاعتبار. أحد عيوب قائمة الواجبات هذه هو وجود تعارض أو تضارب بين اثنين أو أكثر من تلك الواجبات *الظاهرية* في بعض الظروف أو المواقف المعينة، ما يتسبب في مشكلة بشأن أي واجب منهما يجب على الفرد اتباعه. على سبيل المثال، قد يكون الأب وعد طفله بأن يصطحبه لمشاهدة أحدث الأفلام في السينما عندما يتصل صديق له يطلب منه أن يساعده في عملية انتقاله إلى منزل جديد. وكان هذا الصديق قد قدَّم لهذا الرجل الكثير من الخدمات في السابق، ويتوقع أن يقدم له خدمة في المقابل؛ لذا نجد هنا أن واجب الامتنان والإحسان يتعارض مع والوفاء بالوعد.

لكن «روس» جادل بقوله بأنه في معظم المواقف، دائمًا ما يكون هناك «واجب مطلق» تفوق أهميته الواجبات الأخرى، ومن ثم يتم اتباعه واتخاذ الفعل بناء عليه. أما فيما يتعلق بتعامل بعض الأشخاص مع تلك المشكلة التي تم وصفها، فنجد أن معظمهم يميل إلى تقديم واجب الإحسان والامتنان (ويمكننا أن نسميها بالعدالة)، لهذا يقدمون المساعدة للصديق على حساب الطفل وعدم الوفاء بالوعد الذي تم تقديمه له، ما يجعله يشعر بخيبة الأمل. إن كيفية

تقدير الأشخاص على اختلافهم، لعواقب قرار معين أمر معقد. قال الفيلسوف الأمريكي المعاصر «شيلي كاجان» (ولد في عام 1954)، في كتابه *The Limits of Morality 1989* إن «روس» كان يجب عليه استخدام مصطلح «*pro tanto*» الذي يعني «*معين*»، لوصف أسباب اتباع واجب دون الآخر، بدلًا من استخدام كلمة *prima facie* التي تعني «*ظاهري*»؛ لأن «السبب *المعين* له أهمية حقيقية، لكن مع ذلك قد تفوقه اعتبارات أخرى... في حين أن السبب *الظاهري* قد يبدو سببًا، لكنه في الواقع قد لا يكون كذلك على الإطلاق». وحجة «كاجان» أن أهمية الواجب تعتمد على «مدى» ارتباطه أو تعارضه مع الواجبات الأخرى في قائمة واجبات «روس»، وأن اعتبار واجب أكثر أهمية من الآخر هو مسألة تقديرية وليست مطلقة بالضرورة.

المبلغون عن المخالفات: أبطال أم خونة؟

تضع العديد من المؤسسات والشركات بيانات أهداف وقواعد سلوك يجب على العاملين بها اتباعها. وبالمثل فإن الحكومات والهيئات التشريعية (بشكل عام، آلية إنفاذ القانون) ووزارات الدولة، بما في ذلك الصحة والدفاع والرعاية الاجتماعية والتعليم، لديها قواعد سلوك مستمدة من نماذج الأخلاقيات التطبيقية. ورغم ذلك فإن هذه المبادئ التوجيهية الأخلاقية، غالبًا ما تكون غير مُلزِمة؛ بمعنى أنها ليست «غير قابلة للتغيير».

كان فيلسوف ما بعد الحداثة «جاك دريدا» (1930 - 2004) محقًّا عندما تحدّث عن الأخلاقيات التطبيقية وقال إن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الصادر عن الأمم المتحدة -والذي تم التصديق عليه لأول مرة عام 1948 بعد الحرب العالمية الثانية- تم تعديله ومراجعته في مناسبات عديدة منذ ذلك الحين. ويمكن إرجاع ذلك بشكل جزئي للتحولات والتغيرات التي تحدث في النظام العالمي، والتطورات التي تحدث في التكنولوجيا والبيئة والعوامل الاجتماعية والسياسية في أجزاء مختلفة من العالم. وهو أيضًا، من منظور «دريدا»، دليل على عدم جدوى القوانين الأخلاقية المُلزمة.

في الآونة الأخيرة كانت المعضلات الأخلاقية التي يواجهها المبلِّغون عن المخالفات الذين يكشفون الممارسات الأخلاقية وغير الأخلاقية للمؤسسات والشركات نقطة خلاف رئيسية في مدرسة الأخلاقيات التطبيقية. فمن ناحية كان يتم اعتبار المبلِّغين عن المخالفات أبطالًا يدافعون عن حقوق الأفراد في مواجهة الشركات والمؤسسات البيروقراطية المتوحشة، الذين كانوا يرتكبون «الأخطاء» في سرية تامة. ومن ناحية أخرى، غالبًا ما كان يتم تصويرهم على أنهم خائنون أو يضمرون ضغائن غير عقلانية أو لا أساس لها من الصحة، وعلى أنهم أشخاص غير أسوياء لا يشكلون جزءًا من الوعي الجماعي.

ومن الأمثلة الرئيسية على نقطة الخلاف هذه في مدرسة الأخلاقيات التطبيقية حالة العميل السري السابق في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية «إدوارد سنودن». كان «سنودن»

يعمل سابقًا محلل بيانات حاسوبية لدى الحكومة الأمريكية، وقام بنسخ وتسريب معلومات سرية من وكالة الأمن القومي عام 2013، دون إذن، إلى صحيفة دير *شبيجل* الألمانية. أظهرت عمليات كشف البيانات التي قام بها، العديد من برامج المراقبة العالمية التي تدير العديد منها وكالة الأمن القومي والدول الخمس التي تشكل تحالفًا استخباريًّا فيما بينها بالتعاون الضمني مع شركات الاتصالات والحكومات الأوروبية. أحدثت تسريبات «سنودن» ضجة كبيرة وأثارت نقاشًا مستمرًّا حول طبيعة الخصوصية في العصر الرقمي، وحق الحكومات في «التجسس» على مواطنيها.

3

ما أنت بحاجة لمعرفته عن

فلسفة العلوم

إن فلسفة العلوم هي دراسة الافتراضات والأسس ونتائج العلوم الطبيعية، على سبيل المثال علوم الأحياء والكيمياء والفيزياء وعلوم الأرض والطب وعلم الفلك. هناك فرق بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية التي تشتمل على علم النفس والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وما إلى ذلك، حيث تركز في المقام الأول على السلوك البشري والهياكل الاجتماعية. تشمل الأسئلة الرئيسية في فلسفة العلوم ما يلي: ما العلوم، وما أهدافها، كيف يجب أن نفسر ونستفيد من المعرفة المكتسبة من خلال الدراسة العلمية. تتم مناقشة هذا السؤال الأخير، الذي يطرح معضلات أخلاقية تتعلق بكيفية اكتساب المعرفة العلمية، في الفصل 4.

إذا نظرنا إلى الرياضيات نظرة سليمة، فسنجد أنها لا تحتوي على الحقيقة وحسب، بل تحوي جمالًا ساميًا أيضًا،

جمالًا يتسم بالعقلانية والصرامة اللتين يتسم بهما جمال المنحوتات.

«برتراند راسل»

ما مذهب العلمية؟

يعد مذهب العلمية عنصرًا محوريًّا في النقاش الفلسفي حول ماهية العلم، كما أنه يميز مجالات معينة من المعرفة عن العلوم الزائفة، أو العلوم النظرية البحتة. إن مذهب العلمية -الذي يلقى انتقادات كثيرة في بعض الأوساط- هو وجهة النظر العامة والشاملة التي تفيد بأن فرضيات وطرق البحث في العلوم الفيزيائية والطبيعية (الطريقة العلمية) قابلة للتطبيق بالتساوي على مجالات أخرى من المعرفة البشرية، بما في ذلك الفلسفة والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية.

إن مذهب الوضعية المنطقية شكل من أشكال العلمية؛ والذي يبرز وجهة النظر القائلة بأن «المعرفة الحقيقية» هي المعرفة العلمية؛ أي النظريات التي يمكن التحقق منها علميًّا ويمكن إثباتها منطقيًّا أو رياضيًّا. تنص الفلسفة الوضعية على أن مثل هذه المعرفة لا يمكن أن تأتي إلا من خلال التأكيد الإيجابي للنظرية عبر الخضوع لمنهج علمي صارم. عادةً ما تركز هذه الطريقة على جمع «الأدلة» التجريبية من خلال جمع البيانات عن طريق عملية الملاحظة والتجربة، ما يؤدي إلى تشكيل الفرضيات واختبارها.

يُعتقد أن «أرسطو» - ابن طبيب أثيني بارز أظهر كفاءة كبيرة في دراسة علم الأحياء والكشف عن «طبيعة» الأشياء - كتب أول أطروحة منهجية عن طبيعة البحث العلمي؛ والتي اشتملت على الملاحظة والتفكير المنطقي بشأن العالم الطبيعي. وفي *كتابه Pri-or Analytics* وكتاب *Posterior Analytics* تناول «أرسطو» أولًا أهداف استكشاف الطبيعة ثم طرق القيام بذلك. أما طريقته - رغم أنها لا تخلو من العيوب - فقد تضمنت عددًا من الجوانب التي تعد ضرورية لدراسة العلوم، اليوم. وفي حين أن التركيز على المذهب التجريبي والبحث الدقيق هو أساس كل عمليات البحث العلمي، فقد استحدث شكلًا من أشكال الملاحظة الموضوعية، وليس التجريب الخاضع للرقابة. لم يكن هدفه مجرد جمع الحقائق الممكن رصدها في حد ذاتها؛ لأن التجارب التي تخضع للرقابة يمكن أن تؤدي إلى نظريات تضع أهدافًا واستنتاجات متسرعة خاصة بها.

استخدم «أرسطو» كلمة *«الإبستمية»* أو النظام المعرفي، عندما ألّف كتبًا عن العلوم، وهذا يشكل نطاقًا شاملًا من المعرفة التي تم ترتيبها بدقة - الحقائق التجريبية - لكن المهم هو كيفية ترتيب هذه الحقائق وتقديمها؛ لذا فإن هدف الاكتشاف، من خلال الملاحظة والترتيب وتقديم الحقائق، يؤثر في الأساليب المطلوبة لإجراء بحث علمي ناجح. وهناك عوامل أخرى محددة وتشتمل على طبيعة المعرفة المطلوبة، والوظائف، والأسباب المتعلقة بفرع معين من المعرفة.

بالإضافة إلى الملاحظة الدقيقة، تطلَّب منهج «أرسطو» العلمي ما يلي:

- نظامًا للتفكير المنطقي لترتيب الحقائق وتحليلها بشكل صحيح، وكذلك لاستدلال واستنتاج مزيد من الحقائق أكثر من تلك التي تم جمعها من خلال الملاحظة.

- علاوة على ذلك، يمكن أن تشمل طرق التفكير الاستنتاج أو التنبؤ أو المقارنة أو المضاهاة.

تم جمع نظام «أرسطو»، الموضح في كتاب *Prior Analytics* وكتاب *Posterior Analytics* (إلى جانب رفضه النظريات الأخرى للمنهجيات العلمية والتفكير الخاطئ) في كتابٍ بعنوان Organon؛ التي تعني «الأداة» أو «الآلة».

أخطاء المنهج العلمي

كان لكتابات «أرسطو» حول العلوم والطبيعة تأثير عميق على العلوم الطبيعية، ولا سيما خلال فترة القرون الوسطى، حيث تم قبول بعض أخطائه الصارخة بشكل حرفي والتي ظلت مستخدمة كما هي دون أي اعتراض أو تغيير لعدة قرون. قام «أرسطو» في كتابه *The History of Animals* (نحو 350 قبل الميلاد) بتناول علم الحيوان بالدراسة والفحص، كما حاول تطبيق منهجه العلمي على الحقائق الموجودة وشئون العالم الطبيعي.

ملك النحل

يحتوي أحد أقسام كتاب «أرسطو» *The History of Animals* على ملاحظات مفصلة عن حياة النحل. لقد استنتج بشكل صحيح أن مستعمرات النحل تحتوي على ثلاثة أنواع من النحل هي العمال واليعاسيب (ذكور النحل) و«الملك». إن استبدال كلمة «ملك» بكلمة «ملكة» هو الذي تسبَّب في حدوث قدر كبير من الجدل، واعتبره البعض رأيًا معاديًا للمرأة من قِبل «أرسطو» كان «أرسطو» محقًّا في ملاحظته أن النحل يجمع الرحيق من الزهور، لكنه كان يعتقد أن الأزهار تفرز نحلًا صغيرًا، وأن النحل غير قادر على التكاثر، كما كان يعتقد أن العسل ينتج عن الظروف المناخية، وكانت حجته في ذلك أن هناك فترات من السنة تكون فيها الأزهار غزيرة، لكن لا يتم إنتاج العسل. في الواقع، هذه الملحوظة ليست خطأ تمامًا؛ نظرًا لأن الظروف المناخية تؤثر بالفعل في إنتاج العسل، لكن الأمر كان يرجع فحسب إلى عملية التلقيح التي فشل «أرسطو» في فهمها.

رغم أن كتاب *The History of Animals* يحتوي على العديد من الملاحظات الرائدة، ولا سيما في علم الأحياء البحرية،

فإنه يحتوي على العديد من الأخطاء الفادحة الواضحة، كان أحد الأخطاء الملحوظة بشكل خاص هو ادعاء «أرسطو» بأن الذباب له أربع أرجل، رغم أن الباحثين قالوا إن هذا قد يكون خطأ في الترجمة لم يتم تصحيحه.

«فرانسيس بيكون» - فيلسوف عصر النهضة

كان السير «فرانسيس بيكون» (1561 - 1626) فيلسوفًا ورجل دولة وسياسيًّا ومحاميًا وكاتبًا إنجليزيًّا، وشخصية بارزة في عصر النهضة الإنجليزية، وكان كاتبًا غزير الإنتاج؛ حيث ألَّف العديد من الأعمال الفلسفية حول مجموعة متنوعة من الموضوعات، بما في ذلك العلوم والعلوم الدينية والأخلاقيات والسياسة والقانون. وقد اشتهر أكثر؛ لمساهماته في فلسفة العلوم، وعلى وجه الخصوص بسبب كتابه *Novum Organum* (الذي يعني «أداة جديدة»، وقد ألَّفه عام 1620)، وشكّل الأساس لما أصبح يُعرَف فيما بعد باسم «طريقة بيكون».

كان كتاب *Novum Organum* لـ «بيكون» محاولة لوضع نظام جديد للبحث العلمي؛ الذي يختلف عن منهج «أرسطو» العلمي، والذي كان له بالغ الأثر في علوم العصور الوسطى. وفي حين أن منهج «أرسطو» العلمي استمد الاستدلال المنطقي الخاص به من خلال استخدام القياس المنطقي - وهو شكل من أشكال التفكير الاستنتاجي المبنيّ على مقدمتين أو أكثر من المقدمات المنطقية

ذات الصلة التي تم التسليم بصحتها - قام المنهج العلمي لـ «بيكون» على «الاستدلال الاستقرائي».

إن الاستدلال الاستقرائي طريقة للتفكير تقدم فيها المقدمات المنطقية بعض الأدلة على صحة الاستنتاج النهائي. في حين أن النتيجة النهائية للحجة الاستنتاجية تكون مؤكَّدة، فإن مدى صحة النتيجة النهائية للحجة الاستقرائية يكون محتملاً، حيث تستند إلى الأدلة المسجلة والمقدمة. يقدم «بيكون» مثالاً للبحث الذي تناول سبب «الطبيعة الظواهرية»، مثل الحرارة.

- أولًا يقوم العالم بإعداد قائمة (أ) لجميع المواقف المحتملة، حيث يمكن العثور على الحرارة وملاحظتها.

- ثم تشير القائمة «ب» إلى ظروف مماثلة لتلك الموجودة في القائمة «أ»، لكن مع غياب الحرارة في هذه الظروف.

- ثم يتم إعداد القائمة الثالثة والأخيرة؛ وهي القائمة (ج)، حيث يمكن أن يكون وجود الحرارة أو غيابها أمرًا متغيرًا.

يقول «بيكون» إنه من أجل التأكد من «طبيعة الحرارة» أي (الخصائص الطبيعية) لها، فإن التحليل المقارن لجميع الجداول الثلاثة سيكشف أن الحرارة تتوافق مع جميع الحالات في القائمة «أ»، ولا تتوافق مع أية حالات في القائمة «ب»، وتختلف في جميع حالات القائمة «ج».

كان لكتاب *Novum Organum* تأثير كبير في التطور التاريخي للمنهج العلمي. يشبه أسلوب «بيكون» النهج العلمي الحديث؛ لأنه يرتكز على البحث التجريبي، ويختلف عن أسلوب «أرسطو» الذي يشكك في التجريب الخاضع للرقابة. وقد أدى تركيز «بيكون» على استخدام الظروف الاصطناعية لتوفير مزيد من الملاحظات عن ظاهرة ما - إلى قيام «فولتير»، من بين آخرين، بالإشادة به باعتباره «أبا الفلسفة التجريبية». كان اقتناع «بيكون» بأن الفلسفة الطبيعية يجب أن تبدأ بأدلة من الحواس بمثابة اختلاف جذري عن المنهج العلمي التقليدي، كما كان منهجه الناتج عن الاستقراء الإقصائي هو أحد أكثر إسهاماته الخالدة في العلم والفلسفة.

كما تبيَّن أن وضع «بيكون» لـ «أداة جديدة» للبحث العلمي كان أمرًا كارثيًّا، فبعد طرده من البرلمان لتورطه في إحدى قضايا الفساد، كرَّس ما تبقَّى من حياته لكتابة التجارب العلمية وإجرائها. تُوفي نتيجة إصابته بالالتهاب الرئوي في عام 1626. ربما كان ذلك ناتجًا عن قضائه ساعات طويلة في اختبار اللحوم لمعرفة ما إذا كان يمكن الحفاظ عليها سليمة من خلال دفنها في الثلج المضغوط.

التمييز بين العلم واللاعلم

إحدى المسائل المحورية في فلسفة العلوم هي الحجة التي تحاول التمييز بشكل واضح بين العلم واللاعلم أو العلم الزائف.

من الناحية التاريخية، تركزت نقاط الخلاف الرئيسية على الانقسام بين «العلوم البحتة» والعلوم الدينية. قد يبدو من الغريب أن مثل هذه المشكلة المحورية لا تزال قائمة حتى الآن دون حل، في العالم الغربي على وجه الخصوص، وفي بلدان أخرى كذلك، حيث يكون للأيديولوجية الدينية تأثير كبير في السلطة السياسية والهياكل الاجتماعية.

سيتم تناول الجدل ثلاثي الاتجاهات بين مؤيدي «نظرية التطور» و«نظرية الخلق» و«نظرية التصميم الإلهي» في الفصل 5، لكن هناك جوانب أخرى في الفلسفة، بما في ذلك الميتافيزيقا والأخلاقيات، التي تم التشكيك فيها من قِبل أولئك المدافعين عن «العلوم البحتة». تضمنت المعايير - كما رأينا من خلال المناهج العلمية لكل من «أرسطو» و«بيكون» - اللازمة لتأسيس العلوم ما يلي:

- صياغة فرضيات تلبي المعايير المنطقية للأحداث الطارئة؛ أي النظريات والأفكار التي لا ينبغي بالضرورة أن تكون صحيحة أو خطأ.

- فرضيات يمكن إخضاعها لعملية يمكنها إثبات عدم صحتها.

- فرضيات يمكن اختبارها لإثبات أنه يمكن اعتبارها صحيحة أو خطأ في ظل ظروف معينة.

- جمع الأدلة التجريبية من خلال الملاحظة، والتي يمكن تحليلها لاحقًا من خلال المنهجية العلمية المنطقية الدقيقة.

لقد وضع كل من المذهب التجريبي، وفيما بعد الفلسفة الوضعية، ومذهب الوضعية المنطقية، أسس العلم التي تتميز بالانضباط الشديد وشبه الهوس بالملاحظة، والتي نادت كذلك بالتقليص المنهجي لكل المعرفة البشرية إلى أسس منطقية ورياضية وعلمية. وقد أضرّت وجهة النظر هذه إلى حد كبير التخصصات ومجالات الفلسفة الأخرى، بما في ذلك الميتافيزيقيا والعلوم الدينية والروحية والعلوم الاجتماعية، حيث تم اعتبارها تخصصات «لا علمية»؛ لأنها لا تعتمد على الملاحظة.

تُعرف وجهة النظر الفلسفية هذه *بالتحققية*؛ والتي تنص على أن العبارات أو الافتراضات التي يمكن التحقق منها بشكل عملي (أي من خلال الحواس) هي فقط التي تعد ذات مدلول معرفي، أو يمكن إثبات صحتها منطقيًا. ورغم ذلك واجه مذهب الوضعية المنطقية العديد من الانتقادات، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى أن التحققية تغلق الأبواب أمام المعرفة البشرية أكثر مما تفتحها.

«كارل بوبر» ومذهب الشك

وُلد «كارل بوبر» (1902 - 1994) لعائلة ثرية في فيينا، حيث درس الفلسفة وعلم النفس والرياضيات في الجامعة المحلية.

عندما كان طالبًا صار مهتمًّا بالماركسية، وكان عضوًا في حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي، وهي مؤسسة كانت تؤمن آنذاك بالماركسية إلى حد كبير، وتقوم بتطبيقها.

كانت فيينا أحد المراكز الرئيسية للمثقفين الأوروبيين في عشرينيات القرن العشرين؛ لما قامت به من عمل رائد في علم النفس على يد كل من «سيجموند فرويد» و«ألفريد أدلر»، وفي الفلسفة والمنطق على يد مجموعة من الأكاديميين الذين شكلوا دائرة فيينا. وكانت هي التي ابتكرت مذهب الوضعية المنطقية، مع التركيز على العلوم الطبيعية، والتي شكلت نقطة البداية لأفكار «بوبر» حول المناهج العلمية.

وبحلول الثلاثينيات من القرن الماضي، أصيب «بوبر» بخيبة أمل من الماركسية، وبدأ إبعاد نفسه عن مذهب الوضعية المنطقية. في عام 1934 نشر كتاب *The Logic of Scientific Discovery* الذي تحدّى مذهب الوضعية المنطقية والأساليب العلمية التي كانت قائمة على الاستدلال الاستقرائي. رأى «بوبر» أن المعرفة العلمية لا يتم التحقق منها من خلال تأكيد وجود علاقة بين الفرضيات والأدلة، وقال إن النهج الكلاسيكي للعلوم - الذي استلزم صياغة فرضيات متبوعة بتأكيد النظرية من خلال التجربة والملاحظة المتكررة - كان نهجًا معيبًا. على سبيل المثال، كان لدى أحد العلماء فرضية مفادها أن داء كرون يمكن أن يؤدي إلى الإصابة بفقر الدم، فقد لاحظ هذا العالم مجموعة من المرضى الذين تم تشخيصهم بهذا

المرض وأصيبوا جميعًا بفقر الدم بدرجات متفاوتة؛ لذلك استنتج أن العلاقة بين فرضياته الأصلية والأدلة التي جمعها أكدت نظريته.

كانت حجة «بوبر»، في هذا المثال، أن الأمر يتطلب مريضًا واحدًا أو مريضين فقط لم يصابا بفقر الدم لدحض الفرضية الأصلية، ومن ثم لا يمكن لأي قدر من الملاحظة أن يقدم دليلًا مطلقًا لا يمكن التشكيك فيه. كان هذا التحول في التركيز، بالنسبة لـ «بوبر»، هو الطريقة الوحيدة لتقدم العلم؛ الذي لا يحدث من خلال إثبات صحة ما تم تأكيده من خلال الملاحظة، لكن من خلال الكشف عن الحالات التي تكون فيها الفرضيات أو النظرية خاطئة. أطلق «بوبر» على هذه العملية «مذهب التكذيب».

بالعودة إلى مثال داء كرون والمرضى الذين يصابون بفقر الدم بعد إصابتهم بداء كرون، نجد أنه على الرغم من أن عددًا كبيرًا من مرضى كرون قد أصيبوا فعلًا بفقر الدم، فإن العديد منهم لم يصابوا به. ومن ثم فإن الاستنتاج النهائي هو أن هناك احتمالًا، أو أنه من الشائع أن يصاب مرضى كرون بفقر الدم؛ لأن الدليل «مدعوم بالأدلة القوية». قال «بوبر» إن الكثير من العلوم قد تخلط بين «الدعم بالأدلة» والتأكيد أثناء البحث عن «الحقيقة»، وإن الحقيقة الفعلية للفرضية تعتمد على الحالات التي يوجد فيها اختلاف بين النظرية والأدلة.

«توماس كون» وتحول النموذج الفكري

تسبَّب الفيزيائي والفيلسوف الأمريكي «توماس كون» (1922 - 1996) في إثارة ضجة كبيرة فيما يتعلق بالجدل طويل الأمد بين العلم واللاعلم، بنشره في عام 1962 كتابه *The Structure of Scientific Revolutions*. وُلد «كون» في مدينة سينسيناتي ودرس الفيزياء والرياضيات بجامعة هارفارد، وحصل على درجة الدكتوراه في عام 1949 تحت إشراف الفيزيائي الحائز على جائزة نوبل «جون فان فليك»، ثم قام «كون» بتدريس الفلسفة وتاريخ العلوم في جامعة كاليفورنيا، بمدينة بيركلي. خلال هذه الفترة بدأ وضع أفكاره التي تتعلق بتطوير المعرفة العلمية عبر التاريخ.

كان هو أول مَن صاغ عبارة «العلم العادي» لوصف المناهج التقليدية للطريقة العلمية؛ أي اختبار الفرضيات من خلال الملاحظة لصياغة النظرية وتأكيدها. ومع ذلك عرّف «كون» أيضًا العلم العادي بأنه عملية حل المشكلات ضمن نموذج فكري أساسي. لقد قال إن المعرفة العلمية لم تتقدم قط بصور خطية، بل تكونت من سلسلة من النماذج الفكرية الأساسية التي تظل هي القاعدة، من خلال إجماع المجتمع العلمي حتى تظهر مشكلة أو معضلة أخرى تستعصي على الحل. وفي هذه الحالة «يتحول» النموذج الفكري الأساسي، ويستبدل به نموذج جديد له معضلات جديدة يجب حلها. وخير مثال لذلك تأكيد «نيكولاس كوبرنيكوس» (1473 - 1543) أن الشمس هي مركز النظام الشمسي وليست الأرض.

حدد «كون» ثلاث مراحل مختلفة تمر بها المعرفة العلمية؛ وهي:

- لقد أطلق على أول مرحلة *prescience*؛ وهي كلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية «*praescientia*» التي تعني «المعرفة السبقية» و«ما قبل العلم» (أي قبل ظهور العلم). لا يوجد للمعرفة السبقية نموذج فكري أساسي. وبالعودة إلى نموذج «كوبرنيكوس» وحركة الأجرام السماوية تشير هذه النقطة إلى أن الشمس تغير موقعها، لكن لا يوجد نموذج لشرح السبب.

- يراقب العلم العادي بعد ذلك حركات الشمس، ويقول إن الشمس تدور حول الأرض، ويصبح هذا هو النموذج الأساسي. ورغم ذلك، بمرور الوقت، يواجه العلم العادي الذي توصّل إليه علماء الفلك صعوبات، حيث لم تتفق جميع المعضلات المتعلقة بحركة الكواكب الأخرى مع النموذج.

- تسبَّب نشر «كوبرنيكوس» في عام 1534 كتاب *De Revolutionibus orbium coelestium* (حول ثورات الكرات السماوية) في تحول النموذج الفكري من خلال الاستبدال بالنموذج الفكري القديم نموذجًا فكريًّا أساسيًّا جديدًا يعج بمجموعة جديدة من المعضلات لحلها.

قال «كون» إن السبب الرئيسي وراء قبول النموذج الفكري الجديد هو أنه يتمتع بقدرة فائقة على حل المشكلات التي تنشأ خلال عملية العلم العادي، ويمكن بعد ذلك أن نعتبر أن العلوم الزائفة أو اللاعلمية باءت بالفشل في تقديم تفسيرات ضمن هذا النموذج. يمكن النظر إلى هذه الحجة على أنها تدحض نظرية التكذيب لـ «بوبر»؛ حيث إن الفشل في حل المعضلات ضمن نموذج فكري مقبول لا يُنظر إليه على أنه فشل في الأسلوب أو عدم القدرة على تأكيد الفرضيات، بل مجرد فشل الباحث، ومن ثم لا يدحض جدوى النموذج الفكري الأساسي.

لا تتخلص تحولات النموذج الفكري من المعرفة المكتشفة من النماذج السابقة، بل إنها تدمج المعرفة في نماذج فكرية جديدة.

وبهذه الطريقة نجد أن العلم يتقدم؛ ليس فقط من خلال البناء التدريجي على أعمال الماضي - كما كان يُفترض دائمًا - ولكن من خلال سلسلة من التغيرات الجذرية التي تحولت فيها طرق التفكير في المجتمع العلمي تمامًا. حظي كتاب *The Structure of Scientific Revolutions* بشعبية كبيرة، سواء في الأوساط الأكاديمية أم لدى عامة الناس، ويعد أحد أعظم النصوص العلمية المشهورة في القرن العشرين.

فوضوية العلم

وُلد «بول فايرآبند» (1924 - 1994) في فيينا، ودرس الفلسفة وفلسفة العلوم على يد «كارل بوبر» بكلية لندن للاقتصاد. حصل «فايرآبند» على منحة دراسية من المجلس الثقافي البريطاني، وعمل مع *أكثر شخص يبغضه* «بوبر»؛ وهو «لودفيج فيتجنشتاين» (1889 - 1951)، لكن وفاة «فيتجنشتاين» المفاجئة بسبب السرطان في عام 1951 أدت إلى انتقال «فايرآبند» إلى لندن. وفي بداية مسيرته الأكاديمية تأثر «فايرآبند» بنظرية «التكذيب» لـ «بوبر»، لكن بعد تولّيه منصبًا في جامعة كاليفورنيا بمدينة بيركلي، وضع نظرية جذرية عن فلسفة العلوم متأثرًا بشكل جزئي بأفكار زميله «توماس كون».

وفي كتابه الرائد والمثير للجدل الذي يحمل عنوان *Against Method* 1975، قال «فايرآبند» إن العلم لا يحتل مكانة خاصة بسبب منطقه أو منهجه، وإنه لا يوجد منهج في تاريخ الممارسة العلمية لم يتم انتهاكه في مرحلة ما من مراحل تطوير المعرفة العلمية؛ لذا لا يمكن دعم أية مطالبة من العلماء باحتلال مكانة خاصة.

قدَّم «فايرآبند» انتقادات لأي منهج إرشادي يهدف إلى تقييم جودة النظريات العلمية من خلال مقارنتها بالحقائق المعروفة. توسع «فايرآبند» في أفكار «كون» عن تحولات النموذج الفكري والثورات العلمية، وقال إن النظريات السابقة يمكنها أن تؤثر في التفسيرات الطبيعية للظواهر المرصودة. تضع المنهجية العلمية افتراضات ضمنية عند ربط النظريات العلمية بالحقائق التي يتم تحديدها من خلال الملاحظة. أما المشكلة التي واجهت «فايرآبند» فهي أن هذه الافتراضات تحتاج فيما بعد إلى تغيير من أجل جعل النظرية الجديدة متوافقة مع الملاحظات الجديدة، ويعد أفضل تلخيص لوجهة النظر هذه هي مقولة «فايرآبند» بأنه في تاريخ العلم هناك «تغيير» وليس بالضرورة «تقدمًا».

دعا «فايرآبند» إلى اتباع نهج فوضوي للعلم - أي رفض وجود نسق علمي ثابت ونهائي - يشمل المجالات التي من السائد النظر إليها باعتبارها علمًا زائفًا، مثل الظواهر الخارقة للطبيعة وعلم التنجيم والغيبيات. كان يعتقد أن الهيكل التجريبي الصارم للمناهج العلمية عاق عملية الإبداع، ومن ثم كان عائقًا أمام اكتساب المعرفة الحقيقية.

«فايرآبند»: الفيلسوف الكسول

لم يكن يؤمن بأخلاقيات العمل التي تنادي بضرورة العمل الجاد وبذْل الكثير من الجهد من أجل تحقيق النجاح. في كتابه المنشور بعد وفاته بعنوان (*Killing Time* 1995)، كان «فايرآبند» يصف مسيرته الأكاديمية بأنها مجرد وسيلة لكسب المال وتضييع الوقت حتى يحين وقت الانخراط في أنشطة ممتعة وجديرة بالاهتمام، أبرزها الطهي والأكل والشرب والذهاب إلى الأوبرا. في عام 1974 أصبح أستاذًا في جامعة ساسكس، وحينذاك كان أحد الأكاديميين البارزين على مستوى العالم، وأصبحت محاضراته في ساسكس (عندما كان الفيلسوف يكلف نفسه عناء الحضور إلى الجامعة وإعطاء المحاضرات رغم عدم رغبته في ذلك) أسطورية، وكان يحضرها المئات، بينهم أعداد كبيرة من غير الطلاب، لكن رغم شعبيته بين الطلاب، فقد استقال بعد شهرين فقط؛ لأن الجامعة أصرّت على عمله لمدة اثنتي عشرة ساعة في الأسبوع. وقال: «إلقاء محاضرة واحدة في الأسبوع، وباقي الدروس العلمية الأخرى التي يتم توجيهها للطلاب كانت عملًا شاقًّا جدًّا». ومن غير المستغرب أن تستخدم الكلمة الألمانية «فايرآبند» الآن بشكل شائع للإشارة إلى اللحظة التي ينتهي فيها العمل، أو نهاية يوم العمل المحدد.

حجة البرج

كان المثال الرئيسي لتأثير التفسيرات الطبيعية المشكوك فيها في العلم، والذي اعترض عليه «فايرآبند»، في كتابه *Against Method*، هو «حجة البرج». ومنذ عصر «أرسطو»، كانت الفيزياء تتبع وجهة النظر القائلة بمركزية الأرض؛ والتي تنص على أن الأرض توجد في موقع ثابت بمركز الكون، والشمس والنجوم تدور من حولها. وكان كتاب *On the Revolutions of the Celestial Spheres* لـ «نيكولاس كوبرنيكوس»، الذي نُشر عام 1543 قد قدم نموذجًا لمركزية الشمس؛ أي أن الشمس هي مركز الكون. كانت نظرية «كوبرنيكوس» مثيرة للجدل في ذلك الوقت، ولقيت معارضة من الجهات الدينية التي قالت إن اعتقاد أن الشمس هي مركز الكون يتعارض مع المعتقدات الراسخة التي نصّت على أن الأرض هي التي تقع في مركز الكون، ولا يمكن أن تتحرك منه أبدًا.

كانت حجة البرج أحد أوجُه الاعتراض الرئيسية ضد نظرية الأرض المتحركة، حيث افترض أتباع «أرسطو» أن الأرض ثابتة؛ لأنه عندما يتم إلقاء حجر من أعلى برج، فإنه يهبط أسفل البرج مباشرة. ووفقًا للتأملات الحالية للأجسام المتحركة، إذا تحركت الأرض أثناء سقوط الحجر، كان الحجر سيقع «في الخلف» وسيسقط بزاوية قُطرية. ورغم ذلك، نظرًا لأن الحجر سقط بشكل عمودي على البرج وهبط عند القاعدة، فقد اعتبر أتباع «أرسطو» هذا دليلًا على أن الأرض لا تتحرك. كان «جاليليو جاليلي» (1564 - 1642)

من أوائل المؤيدين لأفكار «كوبرنيكوس»، وسرعان ما وجد نفسه في مشكلة مع الجهات الدينية. ورغم قمع أعماله من قِبل محاكم التفتيش، قال «فايرآبند» إن «جاليليو»، بدلًا من أن يجعل ملاحظاته تتوافق مع النموذج المقبول، قلَب المنهجية العلمية بأكملها رأسًا على عقب، في سبيل البحث عن الحقيقة العلمية.

4

ما أنت بحاجة لمعرفته عن

فلسفة السياسة والسلطة

الفلسفة السياسية هي دراسة القضايا الأساسية المتعلقة بالحكومة والدولة، وتشمل أفكارًا حول الحرية والعدالة والقانون. تتعلق المناقشات الشائعة في الفلسفة السياسية بأدوار ومسئوليات الأفراد والجماعات داخل المجتمعات، وتطرح أسئلة مثل: ما الحكومة؟ هل الحكومات ضرورية؟ كيف يتم إضفاء الشرعية على السلطة السياسية؟ ما الحقوق والحريات الأساسية التي يجب أن تكفلها الحكومة؟

ورغم ذلك فإن فلسفة السلطة أقل اهتمامًا بالتطبيقات العملية للأنظمة السياسية وتنظيم الدولة، وتتبع نهجًا أكثر نظرية في تناول دور السلطة في المجتمعات.

وكما هي الحال مع معظم مجالات الفلسفة، يمكن إرجاع أصول الفلسفة السياسية الغربية إلى اليونان القديمة، حيث جربت المدن الكبرى المستقلة، التي تُعرَف أيضًا بـ(الدولة المدينة) العديد من أشكال التنظيم السياسي وقامت بتطويرها، على سبيل المثال كلمة «democracy» التي تعني «الديمقراطية» (وهي مفهوم معقد غالبًا ما يُساء استخدامه)، مشتقة من الكلمة اليونانية «*dēmokratía*» التي تم ابتكارها من كلمة «*dēmos*» التي تعني (الشعب)، وكلمة «*kratos*» التي تعني («حكم»)؛ لذا فإن الديمقراطية تعني حرفيًّا «حكم الشعب». من بين أهم الأعمال الكلاسيكية التي تتناول فلسفة السياسة كتاب *الجمهورية* لـ «أفلاطون»، وكتاب *السياسة* لـ «أرسطو»، وكتاب *اللفياثان* لـ «توماس هوبز» (1651)، وكتاب *الأمير* لـ «نيكولو مكيافيلي» (1532).

جمهورية «أفلاطون»: الرجل «العادل» والدولة «العادلة»

أما العمل الأكثر شهرة، وربما الأكثر تأثيرًا بين أعمال «أفلاطون»، والذي يأتي في شكل سلسلة من الحوارات السقراطية، فهو كتاب *الجمهورية*؛ حيث يناقش «سقراط» مع العديد من الأصدقاء والشخصيات البارزة في أثينا، وأبرزهم إخوة «أفلاطون»، مفهوم العدالة وكيف تنطبق على الأفراد والمجتمع الأوسع. يتناول «سقراط»

بالفحص سلسلة من الأسئلة مثل: «هل يطبق الرجال العدالة لأنه من الجيد لهم أن يفعلوا ذلك؟»، و«هل العدالة شيء جيد في حد ذاتها؟»، وكيف نحدد مفهوم العدالة، وبمجرد أن نتوصل إلى هذا التعريف، هل نرى أن الرجل العادل أسعد وأصلح من الرجل الظالم؟

وضع كل من «أفلاطون» و«سقراط» الخطوط العريضة لهيكل هرميّ مكون من ثلاثة أجزاء للنفس البشرية، وهما يؤمنان بأن النفس البشرية خالدة لا تموت، لكنها مستترة وراء العالم المادي للأشياء:

- يأتي في قمة الهيكل الهرمي الجزء العقلاني والفكري من النفس البشرية؛ والذي يسعى للبحث عن الحقيقة والمعرفة والفهم وأساس الممارسة الفلسفية.

- يليه الجزء المفعم بالحيوية من النفس البشرية؛ والمدفوع بمفاهيم الشرف والواجب، ويثير بعض المشاعر مثل الغضب والسخط والصلاح.

- وفي أسفل هذا الهيكل يأتي الجزء الشهواني من النفس البشرية، الذي يسعى لتلبية متطلباتنا واحتياجاتنا الأساسية، والذي يمكن أن تفسده الشهوة والرغبات المختلفة، ولكي يكتسب الفرد الروح العادلة، يجب أن تجمع هذه الأجزاء الثلاثة علاقة سلطة متناغمة.

يجب أن يتمتع الجزء العقلاني من النفس البشرية بالهيمنة والجبرية، مدعومًا بالجزء المفعم بالحيوية، ويجب أن يخضع الجزء الشهواني لسيطرة العقل والحكمة.

يشير «أفلاطون» بعد ذلك إلى أن النفس البشرية العادلة تشبه المجتمع العادل أو المثالي (أي الجمهورية المشار إليها في عنوان الكتاب)، ومثلما تتضمن النفس البشرية هيكلًا هرميًّا مكونًا من ثلاثة أجزاء، فإن المجتمع يتكون من هيكل هرمي مُشابه أيضًا؛ حيث يأتي في قمة الهيكل الهرمي «الأوصياء» الذين يعرّفهم «أفلاطون» بأنهم «الملوك الفلاسفة»، وهم حُماة الحكمة والعقل الذين يضعون مصالح الأفراد نصب أعينهم، ثم يليهم من يقدمون الدعم للأوصياء؛ وهم «المساعدون» أو «الجنود»، ووظيفتهم هي حماية ودعم قيم الشرف والواجب من خلال القوة والولاء. ويأتي في أسفل هذا الهيكل الصُّنّاع أو «المنتجون» - وهو ما يقابل الجزء الشهواني في الهيكل الهرمي للنفس البشرية - ومنهم على سبيل المثال الحرفيون والعمال. يتحقق «المجتمع العادل» عندما تقوم العلاقة بين المجموعات الثلاث على التوازن والانسجام، ويجب على كل مجموعة أن تؤدي دورها المطلوب فقط، وأن تحافظ على موقع السلطة المناسب لها فيما يتعلق بالمجموعات الأخرى.

لذا فإن «الملوك الفلاسفة» هم المسئولون عن اتخاذ القرار ووضع القواعد، ويجب أن يدعم «المساعدون» مبادئ الحكام، ويجب أن يقتصر «المنتجون» على استغلال مواهبهم ومهاراتهم التي

حباهم الله بها لتلبية احتياجات المجتمع الأساسية من أجل البقاء مثل (الطعام، والمأوى، والملبس... إلخ). وفي هذا الإطار نجد أن العدالة، بالنسبة لـ «أفلاطون»، تعني مبدأ التخصص المترابط، الذي يتطلب من كل فرد أن يؤدي الدور المجتمعي المنوط به والذي خصّه الله به، وعدم التدخل في الأعمال الأخرى التي تقع خارج مجال اختصاصهم المحدد.

كما كتب «أفلاطون» قائلًا: «إن العدل هو قيام الشخص بعمله وعدم التدخل في شئون غيره»، أو ببساطة، في «المدينة العادلة» تختص كل طبقة وكل فرد بمجموعة محددة من الواجبات والأدوار؛ أي مجموعة من الالتزامات تجاه المجتمع، والتي إذا قام الجميع بتنفيذها، ستؤدي إلى بث روح التناغم بين جميع أفراده وفئاته. عندما يؤدي الشخص واجباته فإنه سيتلقى مقابل ذلك الثناءَ والمكافأة التي يستحقها، لكن إذا فشل في تأدية دوره، أو تجاوز حدوده، فإنه سيتلقى العقاب المناسب.

الدولة المدينة لدى «أرسطو» ـ المدينة الفاضلة للسعادة

في ختام كتابه *Nicomachean Ethics* يقول «أرسطو» إن أي تحليل لأخلاق الفرد يمتد بشكل طبيعي إلى أخلاقيات المجتمعات والحياة العامة، وعالم السياسة باعتبار أن «الإنسان مخلوق سياسي». يحلل «أرسطو»، في كتابه *Politics*، مختلف الدساتير وأساليب

الحكم، لما يسميه polis أو الدولة المدينة في اليونان، مثل مسقط رأسه أثينا. إن كلمة السياسة تعني حرفيًّا الأمور المتعلقة بـ(*الدولة المدينة*). تمثل *الدولة المدينة*، بالنسبة لـ«أرسطو»، الشكل الأبرز للجمعيات السياسية والاجتماعية، وتختلف عن الأشكال الأخرى للشراكات المجتمعية مثل الأُسر أو القرى من حيث الحجم والنطاق. الهدف من إنشاء *الدولة المدينة* هو تشجيع مواطنيها على أن يعيشوا حياة كريمة وفاضلة؛ حيث إن الحياة العامة لها الأولوية على الشئون الخاصة.

يبدأ كتاب *السياسة* بمراجعة وتحليل أشكال الدستور والتنظيم السياسي، وقد انتقد «أرسطو» كتاب الجمهورية لـ «أفلاطون»، وفسر مبدأ «أفلاطون الأساسي على أنه يجب على مواطني الدولة *المدينة* أن يكون بينهم أكبر قدر ممكن من القواسم المشتركة. وتهدف مجتمعات «أرسطو» إلى تحقيق الوحدة، لكن «أرسطو» يرى أن المدن بطبيعتها أماكن تتسم بالتعددية، حيث يقدم الأشخاص مساهمات مختلفة، ويلعبون أدوارًا متباينة، وينتمون إلى طبقات اجتماعية متنوعة، وهذه التعددية ضرورية من أجل تيسير المعيشة في المدن، والمحافظة على استقلاليتها واكتفائها الذاتي. ويخلص إلى أن المدن الماضية والمعاصرة ونظريات التنظيم السياسي لم تحقق نموذجًا مثاليًّا للشكل أو الهدف.

وفقًا لـ «أرسطو»، هناك ست فئات مختلفة من المدن ذات هياكل دستورية ذات صلة؛ ثلاث منها إيجابية وجيدة، والثلاث الأخرى سلبية وسيئة. لقد أطلق على الهياكل الدستورية الإيجابية

اسم *politeia*- وهي الحقوق الدستورية المصونة للمواطنين داخل الدولة المدينة - إلى جانب الأرستقراطية والملكية. أما الهياكل الدستورية السلبية فهي الديمقراطية وحكم النخبة، والحكم الاستبدادي. كما يقول إن الحكم الاستبدادي شكل غير ملائم من أشكال الحكم؛ لأنه يركز فقط على مصالح الطبقة الحاكمة، وإن حكم النخبة يتمحور فقط حول مصالح الأثرياء، وإن الديمقراطية تمثل شكلًا من أشكال حكم الغوغاء، حيث يقول:

> إن الحكم الاستبدادي هو نوع من الملَكية الذي لا يخدم سوى مصلحة الملك فقط، وحكم النخبة يخدم مصلحة الأثرياء، أما الديمقراطية فهي للفقراء: لا أحد منهم يخدم الصالح العام للجميع. والحكم الاستبدادي، كما قلت، هو النظام الملَكي الذي يمارس سلطة السيد على المجتمع السياسي، أما حكم النخبة فهو عندما يُحكم الأثرياء والإقطاعيون سيطرتهم على الحكومة، أما الديمقراطية فهي على العكس من ذلك، تتحقق عندما يكون الفقراء هم الحكام وليس الأغنياء.
>
> «أرسطو» - كتاب السياسة المجلد الثاني

يرى «أرسطو» أن التنظيم السياسي السليم يجب أن يقوم على أساس مبادئ العدالة التوزيعية، التي تنص على أن الأشخاص المتساوين يجب أن يعامَلوا على قدم المساواة، وألا يعامل الأشخاص غير المتساوين على قدم المساواة؛ حيث يجب تقييم

الأشخاص وفقًا لإسهاماتهم في الحياة الجماعية لمواطني المدينة. يقول «أرسطو» إنه على الرغم من أن الحكومة الدستورية (politiea) - بما تتضمنه من مجموعة من القوانين السيادية - تظل هي الشكل المثالي للتنظيم السياسي، فإن الحاكم إذا صان مصالح مواطنيه، وحرص على عدم انتهاكها، فقد يكون لها القدر نفسه من الفاعلية في بعض المواقف.

بعد مراجعة الأشكال المختلفة للحكومة، توصّل «أرسطو» إلى أن التنظيم السياسي الفعال يستفيد من الطبقة المتوسطة المتعلمة التي تقوم بدور الوساطة بين المصالح المتضاربة للأثرياء الأرستقراطيين والفقراء «المُعوزين». وقد قسّم واجبات الحكومة إلى مهامّ تداولية (التخطيط)، ومهامّ قانونية تتعلق بسيادة القانون، ومهامّ متعلقة باتخاذ القرارات التنفيذية لصالح المواطنين ككل. تسقط الدساتير عندما تثور مجموعة كبيرة من المواطنين ضد الطبقة الحاكمة، ويحاولون قلب نظام الحكم الحالي، كما يحذر «أرسطو» من أن استبعاد الأقليات المحرومة من السلطة يعد حماقة شديدة، وأن الحكومات يجب أن تتصرف باعتدال وحكمة واحترام تجاه الجميع؛ لضمان أن يعم الاستقرار المدينة.

أوضح «أرسطو» لدى قيامه بتصوير مدينته المثالية، أن الهدف الأسمى للحكومة يجب أن يكون هو مساعدة المواطنين من خلال تيسير السبل لهم لتحقيق السعادة والفضيلة والحياة الكريمة. يمكن اكتساب الفضيلة من خلال التفكير المتأنّي والممارسة الحرة للتفكير التأملي، كما يجب أن تبقى المدن بحجم يمكن إدارته؛ بحيث

تكون كبيرة بما يكفي حتى تحقق الاكتفاء الذاتي، وصغيرة بما يكفي في الوقت نفسه حتى يتمكن المواطنون من المشاركة الفعالة في شئون المدينة. علاوة على ذلك، يجب على المواطنين المشاركة في الخدمة العسكرية، والشئون الحكومية، والخدمة الدينية، وأن يكون لهم نصيب في ملكية الأرض، لكن «أرسطو» لم يكن يعتقد أنه يجب أن يُتوقع من المواطنين أداء دور «المنتجين» الذي ذكره «أفلاطون»، حيث تكون الحِرف وإنتاج المواد الغذائية واجبًا على غير المواطنين.

يجب على المواطنين ألا يعملوا ميكانيكيين أو تجارًا؛ لأن مثل هذه الحياة حقيرة ولا تتفق مع الفضيلة، ويجب ألا يكونوا مزارعين؛ لأن أوقات الفراغ ضرورية لتنمية الفضيلة وأداء الواجبات السياسية.

«أرسطو»- كتاب السياسة المجلد الثاني

وأخيرًا يأتي مفهوم «أرسطو» عن «وقت الفراغ»، حيث يعرّفه بأنه برنامج تعليمي يشمل القراءة والكتابة والفلسفة والفن والتمارين الرياضية والموسيقى من أجل تحسين نوعية الحياة والتحلي بالفضيلة وأداء الأفعال الحسنة.

اللفياثان لـ «هوبز» والعقد الاجتماعي

وُلد «توماس هوبز» (1588 - 1679) في مدينة مالمسبري، ويلتشير، عشية وصول الأسطول الإسباني، وهو ادعاء كان «هوبز» يحب ذكره كثيرًا، رغم أن الجيش أبحر بالفعل بعد أكثر من شهر من ولادته. وهو ابن أحد رجال الدين المحليين، تلقّى تعليمه أولًا في المدارس الدينية على يد معلمين خصوصيين قبل الالتحاق بجامعة أكسفورد، وهو عالم موهوب، له أعمال في العديد من المجالات؛ بدءًا من التاريخ القديم - حيث قدم في عام 1628 أول ترجمة إنجليزية لكتاب *History of the Peloponnesian war* للفيلسوف «ثوقيديدس» - إلى العلوم والهندسة والعلوم الدينية، لكن مجال فلسفة السياسة هو المجال الذي يحظى فيه «هوبز» بشهرة واسعة، ولا سيما عمله الشهير Leviathan (*اللفياثان*) (1651)، الذي كتبه في ذروة الحرب الأهلية الإنجليزية.

كان هدف «هوبز» من تأليف كتابه *اللفياثان* تطبيق المبادئ العلمية على تحليل السلوك البشري من أجل الوصول إلى بعض الاستنتاجات حول شرعية التنظيم السياسي. كان «هوبز» يؤمن بالمادية وكان على معرفة بـ «جاليليو» وغيره من المفكرين الأوروبيين البارزين في عصره، كما كان يؤمن بالرؤية الميكانيكية للعالم التي تنص على أن العالم في حالة حركة دائمة، مدفوعًا بقوى إيجابية وسلبية. من العناصر الأساسية في فلسفة «هوبز» أن الإنسان يعيش في

«حالة الطبيعة»؛ أي أنه غير مقيد بتنظيم اجتماعي وتحركه المصلحة الذاتية ومحكوم عليه بـ "حرب الجميع ضد الجميع".

في مثل هذه الحالة، لا يوجد مجال للصناعة؛ لأن نتائجها تكون غير مؤكدة، ومن ثم لن توجد ثقافة، ولا ملاحة، ولا استخدام للسلع التي يمكن استيرادها عن طريق البحر، ولا مبانٍ واسعة ومريحة، ولا أدوات لتحريك وإزالة الأشياء التي تتطلب الكثير من القوة؛ ولا علوم عن الأرض، ولا حساب للوقت، ولا فنون، ولا رسائل، ولا مجتمع؛ أما الأسوأ من ذلك كله فهو الشعور بالخوف المستمر، وخطر الموت العنيف؛ والإنسان الذي يعيش حياة منعزلة فقيرة بغيضة وحشية وقصيرة.

«توماس هوبز» - اللفياثان

«توماس هوبز» وحجر الفلاسفة

عندما شعر «هوبز» بدنوّ أجله، دعا أصدقاءه لتقديم اقتراحات للعبارات التي يمكن كتابتها على ضريحه. وكانت العبارة التي رآها مناسبة تمامًا هي «*The Philosopher's Stone*» التي تعني «هذا هو حجر الفلاسفة الحقيقي»، لكن لسبب ما لم يتم استخدام هذه العبارة، هل تبدو هذه العبارة مألوفة بالنسبة لك؟ بالتأكيد، حيث أصبحت عبارة *The Philosopher's Stone* اسم المجلد الثاني في سلسلة هاري بوتر الشهيرة، للكاتبة «جيه. كيه. رولينج».

من أجل تجنب الدخول في حالة من الفوضى وغياب القانون، قال «هوبز» إن المجتمعات المدنية تقوم على أساس «عقد اجتماعي»؛ وهو اتفاق جماعي يخضع بموجبه أفرادُ المجتمع لحكم ملك مطلق، مقابل الحصول على السلام والحماية، لكن تعد حماية المواطنين أعلى واجبات الملك، وتتوافق مع التزاماته بموجب العقد الاجتماعي.

ونظرًا للمناخ السياسي غير المستقر في إنجلترا وقت تأليف كتاب اللفياثان، لم يكن من المستغرب أن يكون هذا الكتاب مثيرًا للجدل؛ حيث اعترض المُوالون على رفض «هوبز» للحق الإلهي التقليدي الممنوح للملوك، واعتقادهم أن الله هو مَن يولّي الملوك الحكم. كما غضب البرلمانيون من فكرة الحكم الملكي الذي لا يخضع للمراقبة والإشراف من قِبل السلطة التشريعية، ورغم ذلك يحتل كتاب اللفياثان مكانة مهمة في تاريخ الفلسفة السياسية، كما تم تناول مفهوم العقد الاجتماعي لربط المجتمع معًا، الذي ورد في هذا الكتاب، بمزيد من الدراسة من قِبل الفلاسفة المعاصرين لـ «هوبز»؛ من أمثال «جون لوك» (1632 - 1704)، و«جان جاك روسو» (1712 - 1778).

كتاب *الأمير* لـ «مكيافيلي»

كان «نيكولو دي برناردو دي مكيافيلي» (1469 - 1527) سياسيًّا ودبلوماسيًّا وكاتبًا مسرحيًّا وشاعرًا إيطاليًّا، وكان مسئولًا عن أحد الأعمال المؤثرة في الفلسفة السياسية خلال عصر النهضة، ويُنظَر

إلى أشهر أعماله وهو كتاب *Il Principe* (*الأمير*، 1532) بوصفه دليلًا إرشاديًّا حول كيفية الحكم بفاعلية، ويتناول، في جزء منه، الدعوة إلى تغيير بعض القيم السائدة؛ حيث شكّك «مكيافيلي» بشكل غير مباشر في شرعية توارث السلطة، واقترح طرقًا جديدة يمكن «للأمير الجديد» من خلالها أن يستولي على مدينة كبيرة ويحافظ على استقرارها.

يرى «مكيافيلي» أنه لكي يحافظ الملك أو الحاكم التقليدي على السلطة - التي مُنِحَ إياها بموجب الحق المكتسب بوصفه ابن الحاكم السابق - فعليه أن يعمل على تحقيق التوازن الدقيق بين مصالح مختلف المؤسسات ذات السلطة داخل المجتمع الذي يترأسه، مثل المؤسسات الدينية، والأرستقراطية، والقضاء، وما إلى ذلك. ويُطلب من الأمير الجديد إيجاد شكل من أشكال النشاط السياسي الذي يوفر الاستقرار للدولة مع الاحتفاظ بالسلطة المطلقة والحفاظ عليها. يقول «مكيافيلي» إنه يجب الحكم ضمنًا على الأخلاق العامة والخاصة بشكل منفصل؛ حتى يتمكن الأمير من إدارة الدولة بشكل فعال.

لذا فإن الفوائد الاجتماعية للاستقرار والأمن يمكن تحقيقها رغم أفعال الحكام اللاأخلاقية. باختصار إن الغاية التي تتمثل في تحقيق (الاستقرار والأمن) تبرر الوسيلة (غالبًا ما تكون أعمال عنف مشكوكًا فيها من الناحية الأخلاقية). نتيجة لذلك، يجب ألا يهتم الحاكم بسُمعته فحسب، بل يجب عليه أيضًا أن يكون مستعدًّا للتصرف بشكل غير أخلاقي في الأوقات الحاسمة. كان «مكيافيلي»

يرى أنه من الأفضل للحاكم أن يكون ذا هيبة يخاف منه شعبه، من أن يكون محبوبًا دون قيد أو شرط؛ لأن الخوف يوفر الاستقرار من خلال تهديد الرعية بالانتقام والثأر والعقاب، حال عدم طاعة أوامر الحاكم. ولا يحتفظ الحاكم المحبوب بالسلطة إلا من خلال الالتزام. لذلك أيد «مكيافيلي» شرعية الحاجة للاستخدام المنهجي للعنف أو الخداع في ظل ظروف معينة، بما في ذلك إبادة عائلات نبيلة بأكملها من أجل قمع أية محاولات لتحدي سلطة الأمير.

من الأكثر أمانًا أن يهابك الناس، بدلًا من أن يحبوك، إذا كان لا بد من الاستغناء عن أحد هذين العنصرين.

«نيكولو دي برناردو دي مكيافيلي» ـ كتاب *الأمير*

وجهة النظر المحورية لـ «مكيافيلي» مفادها أن المبادئ المشرفة التي لا تتزعزع يمكن أن تؤدي إلى بناء حكومة ضعيفة وغير فعالة، وهذا الافتراض صحيح بشكل خاص فيما يتعلق بالفضيلة الشخصية. أما من وجهة النظر الكلاسيكية لـ «أرسطو»، فيجب الإعجاب بديهيًّا بالفضائل واحترامها في حد ذاتها. ورغم ذلك فإن تصرف الحاكم (الأمير)، وفقًا للفضيلة الشخصية، غالبًا ما يكون في غير صالح استقرار الدولة. بالطبع قد تثير بعض الرذائل الاستهجان، ولكن في بعض الأحيان تكون الأعمال الوحشية ضرورية من أجل مصلحة الدولة، وإلا فلماذا يتم تبرير شن حرب بموجب هذه الشروط؟! يتبع «مكيافيلي» هذه الحجة، ويقول إن كسب دعم الرعية هو أفضل

طريقة للحفاظ على السلطة. وهكذا فإن الفضيلة الظاهرية أكثر أهمية من الفضيلة الحقيقية، التي يمكن إثبات زيفها، في ظل ظروف معينة وبحكم التاريخ.

استلهم الفيلسوف والناقد الماركسي «أنطونيو جرامشي» (1891 - 1937) الكثير من الأفكار من كتاب الأمير، وأكد أن «مكيافيلي» لم يكن يكتب للطبقة الحاكمة؛ لأنها كانت تعرف بالفعل كيفية فرض الأساليب «المهيمنة» (أي طرق قمع رعاياهم من خلال الأشكال الأيديولوجية التي تساعد على فرض الهيمنة والسيطرة). وقال إن «مكيافيلي» كان يحاول تثقيف العامة والمحرومين من ممارسة حقوقهم السياسية وتزويدهم بالمعلومات عن هياكل السلطة، وكيفية عملها على الأفراد والمجتمعات.

هل كان كتاب الأمير كتابًا تهكميًّا؟

كتب «مكيافيلي» كتاب الأمير خلال فترة صراع سياسي حاد في مسقط رأسه بمقاطعة فلورنسا. فقد كان يرى خلال وظيفته اليومية كدبلوماسي وسياسي، الأساليب الوحشية العنيفة لقائده «سيزار بورجيا» (1475 ـ 1507)، ووالده رجل الدين «ألكسندر السادس» (1431 ـ 1503). ورغم أن هذا الكتاب يعد دليلًا للحكام المستبدّين المحتملين وتحليلًا لكيفية عمل السلطة السياسية في الدول ذات السيادة والهيمنة، فقد قال بعض محللي الكتاب إنه ربما يكون في الواقع عملًا تهكميًّا ومزحة مدروسة. كما قال «جان جاك روسو» إنه تجب قراءة هذا الكتاب بوصفه عملًا من الخيال السياسي، ومحاكاة تهكمية ساخرة للأوضاع في القرن الثامن عشر. وقال بعض الفلاسفة السياسيين المعاصرين مثل «ليو شتراوس» (1899 ـ 1973)، و«هارفي مانسفيلد» (ولد عام 1932) إن كتاب الأمير يمكن قراءته بوصفه عملًا فكاهيًّا ساخرًا مدروسًا بعناية.

آراء «فوكو» عن السلطة والمعرفة

كان «ميشيل فوكو» فيلسوفًا فرنسيًّا ومؤرخًا وعالمًا اجتماعيًّا مرتبطًا بحركة ما بعد الحداثة للمفكرين الأوروبيين التي ازدهرت خلال أواخر الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، ركز عمله إلى حد كبير على كيفية عمل السلطة في المجتمع، وكان أسلوبه مختلفًا عن التحليل الفلسفي التقليدي؛ لأنه كان يحاول الكشف عن أشكال السلطة التي تعمل في سرية داخل مؤسسات الدولة، مثل السجون والمستشفيات والمؤسسات التعليمية. رفض «فوكو» بعض المسميات مثل «ما بعد الحداثة»، وحتى كلمة «فيلسوف»، وكان يفضل أن يصف نفسه بأنه «مؤرخ للأفكار»، واعتبر أن السلطة منتشرة ومتجسدة، حيث قال: «السلطة موجودة في كل مكان»، وتقوم عليها المعرفة والخطاب لإنشاء «أنظمة الحقيقة».

عارض «فوكو» الفكرة التقليدية القائلة بأن الأشخاص أو الجماعات يمارسون السلطة من خلال أفعال معينة أو سياسات الهيمنة أو الإكراه، وكان يرى أن السلطة متغلغلة وواسعة الانتشار. ونظرًا لأن «السلطة موجودة في كل مكان» و«تأتي من كل مكان»، كما قال «فوكو»، فإنها تخضع لعملية مستمرة من التدفق والتفاوض؛ والتي تمثل شكلًا من أشكال «السلطة الفوقية» التي تسود المجتمع. استخدم «فوكو» مصطلح «السلطة» (المعرفة) للدلالة على أن السلطة تتشكل من خلال الأشكال المقبولة للمعرفة والفهم العلمي و«الحقيقة».

قال «فوكو» إن «أنظمة الحقيقة» نتجت عن الخطاب العلمي والممارسات المؤسسية التي يتم تعزيزها وإعادة تعريفها باستمرار من خلال نظام التعليم، ووسائل الإعلام، والخطابات والأيديولوجيات السياسية والاقتصادية المتعارضة، كما أن السلطة بمثابة الحدود التي تعزز وتقيد الإمكانيات الفردية للعمل وقدرة الأفراد النسبية على إدراك وتشكيل تلك الحدود، لكن «فوكو» أدرك أيضًا أن السلطة ليست بالضرورة ظاهرة سلبية أو قسرية أو قمعية تقمع حرية الأفراد، ولكن يمكنها أن تكون أيضًا قوة ضرورية ومنتجة وإيجابية في المجتمع. جاء على لسان «فوكو»، في كتاب *Truth and Power* 1991، وهو عبارة عن مجموعة من المقالات والأبحاث والأحاديث الصحفية الخاصة به والتي نُشرت بعد وفاته:

> *يجب أن نتوقف تمامًا عن وصف تأثيرات السلطة بمصطلحات سلبية؛ مثل إنها «تُقصي»، أو «تقمع»، أو «تراقب»، أو «تجرِّد»، أو «تخفي»، بل إن السلطة منتجة؛ حيث تنتج الواقع، ومجموعة من الأشياء، ومعالم الحقيقة. ويعد الفرد والمعرفة التي قد تُستمد منه نتاج ذلك.*

في هذا السياق يمكن اعتبار السلطة والمعرفة مصدرين أساسيين للانضباط والتوافق الاجتماعي، أنتج «فوكو»، في ستينيات القرن العشرين، سلسلة من الأعمال التاريخية الشهيرة التي تحلل تطور النظم الإدارية والخدمات الاجتماعية في أوروبا خلال القرن الثامن عشر؛ حيث يتناول بالفحص، في كتاب *Madness and Civiliza*

1961 *tion*، التوجهات والسياسات الاجتماعية التاريخية تجاه الأمراض العقلية، من عصر النهضة إلى عصر المنطق في أواخر القرن السابع عشر، كما تناول، في كتابه *The Birth of the Clinic* 1963، تطور مهنة الطب وإنشاء العيادات والمستشفيات، وحلل، في كتابه *Discipline and Punish*1975، إنشاء السجون وأنظمة العقوبات. ذكر «فوكو»، في هذه الأعمال الثلاثة، أن الخطابات والكيانات التي تدعم هذه الخدمات الاجتماعية تتحد معًا لتشكل «أساليب تهذيبية» يتم من خلالها نشر السلطة؛ حيث لم تعد أنظمة المراقبة والتقييم لديهم تتطلب الممارسة التقليدية للأعمال السيادية من العنف أو استخدام القوة من أجل قمع المواطنين وإجبارهم على الطاعة، حيث صار الأشخاص مبرمجين على ضبط أنفسهم بأنفسهم، واتباع معايير السلوكيات المقبولة.

انخرط «فوكو» في دراسة الأساليب المختلفة للسلطة والسيطرة، مثل:

- أجهزة مراقبة السجون، ونوع خاص من أبنية السجون الذي يسمى «بانوبتيكون»؛ أي «المراقبة الجماعية» الذي وضع تصميمه «جيريمي بينثام» في القرن الثامن عشر.

- أشكال الانضباط المدرسي. أنظمة إدارة ومراقبة السكان.

- إعلان قواعد السلوك البدني.

اعتمد «فوكو» أيضًا على علم النفس والطب وعلم الجريمة من أجل تحديد ما يشكل قواعد الانضباط والانحراف، من وجهة نظر المجتمع. يرى «فوكو» أنه يتم إخضاع الأجساد وجعلها تتصرف بطرق معينة - وكأنها صورة مصغرة للسيطرة الاجتماعية على عموم السكان- من خلال ما سماه «السلطة الحيوية». تتحد السلطة التأديبية والسلطة الحيوية لإنشاء خطابات وممارسات منطقية حول الأمور المقبولة والمستبعَدة والمرفوضة في المجتمع.

أحد الجوانب الرئيسية لمفهوم «فوكو» عن السلطة أنه يسمو نوعًا ما فوق الممارسة الطبيعية الواضحة للسلطة السياسية. يرى «فوكو» أن السلطة ظاهرة اجتماعية متجسدة ومتكررة بشكل يومي، لكنها في الوقت نفسه مراوغة، ويغيب في الغالب عن إدراكنا كيفية عملها، حتى إن الأفراد يمتثلون بسهولة لمعايير السلوك دون الحاجة للإكراه المتعمد.

ومع ذلك لم يقل «فوكو» إنه لا يمكن تغيير البرمجة الاجتماعية، وكان يؤمن بإمكانيات اتخاذ إجراء والمقاومة، فقد كان محللًا اجتماعيًّا وسياسيًّا نشطًا، وعضوًا سابقًا في الحزب الشيوعي الفرنسي - وناشطًا بارزًا في مجال الدفاع عن الأقليات- وكان يدعم دور «المثقف العضوي» في الصراعات الاجتماعية والسياسية. يتعلق أحد الجوانب الرئيسية لأفكار «فوكو» حول العمل السياسي بالقدرات والأساليب التي من خلالها نحدد ونحلل المعايير والقيود الاجتماعية. يرى «فوكو» أن تحدي السلطة بفاعلية لا يستلزم الكشف عن «الحقيقة المطلقة»-

والتي تعد مجرد شكل اجتماعي للسلطة- بل يستلزم «فصل سلطة الحقيقة عن أشكال الهيمنة الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، التي تعمل من خلالها معها في الوقت الحالي». ولكي تعمل السلطة فإنها تتطلب عنصرين: العنصر الأول هو الخطاب (أو الممارسة الخطابية)، والعنصر الثاني هو مؤسسة اجتماعية أو سياسية. ورغم ذلك يمكن أن تظهر خطابات بديلة معارضة:

لا تعد الخطابات خاضعة للسلطة أو معادية لها بصفة نهائية... يجب أن نأخذ بعين الاعتبار تلك العملية المعقدة والمتغيرة، حيث يمكن للخطاب أن يكون أداة للسلطة ونتيجة لها في الوقت نفسه، كما يمكن أن يكون عائقًا وعقبة أمام المقاومة ونقطة انطلاق لإستراتيجية معارضة. إن الخطاب ينتج السلطة وينقلها، ويقوّيها، لكنه يقوّضها ويكشفها، ويجعلها هشة، ويجعل من الممكن التصدي لها.

«ميشيل فوكو» - كتاب (*Truth and Power* 1991)

5

ما أنت بحاجة لمعرفته عن

فلسفة الدين

يتناول موضوع فلسفة الدين دراسة الحجج المتعلقة بوجود الخالق، والآثار الأخلاقية للالتزامات الدينية، والعلاقة بين الإيمان، والمنطق، والخبرة والتقاليد، و«مشكلة الشر». كما تتناول فلسفة الدين فروعًا أخرى للفلسفة، بما في ذلك الميتافيزيقا (ما وراء الطبيعة) والأخلاق ونظرية المعرفة وفلسفة العلوم، كما تتناول إلى حدٍّ ما فلسفة اللغة.

تمّت صياغة مصطلح «فلسفة الدين» لأول مرة في القرن التاسع عشر كمحاولة لإنشاء فرع معرفي منفصل عن الثقافة الدينية التقليدية. الثقافة الدينية، أو الفلسفة الدينية تهتم بالدراسة التفصيلية لصفات الخالق، وأنظمة المعتقدات الدينية. وبالنظر إلى أن معظم هذه الأنظمة تعد وجود الله أمرًا بديهيًّا، فإن الثقافة

الدينية مسئولة عن إطار فكري معين يهتم بدراسة الأمور الدينية، وتسعى الأفكار التي يقوم عليها إلى تبريره ودعمه. وبينما تطرح فلسفة الدين أسئلة من قبيل: «هل هناك أسباب للاعتقاد بوجود الله؟»، و«هل لله طبيعة يمكن معرفتها؟»، تتضمن الثقافة الدينية مبدأً محددًا وثابتًا؛ وهو أن وجود الله أمر غنيٌّ عن البيان.

أحد جوانب فلسفة الدين هو أنها تعمل على كثرة «المذاهب» لوصف أشكال وجوانب مختلفة من المعتقدات الدينية، مثل مذهب الألوهية، والوحدانية، والربوبية، ووحدة الوجود، وجميعها لها فروع ثانوية، وأوجه اختلاف.

الحقيقة المطلقة «للمذاهب»

يكمن مفهوم الحقيقة المطلقة في قلب المعتقدات الدينية وأنظمة القيم، وتعني القوة أو السلطة العليا والنهائية، التي تدعم كل شيء في الوجود بشكل أساسي. تختلف المعتقدات الدينية في تصورها لآلية عمل الحقيقة المطلقة، أو كيفية ترسخها وتجسدها. إن مذهب «الألوهية» هو الاعتقاد العام بوجود الخالق العظيم لهذا الكون، الذي يسمو فوق كل شيء، ولديه علم كل شيء (فهو العليم)، الموجود في كل مكان (فهو البصير)، والمصدر المطلق للخير (فهو الرءوف)، وكليّ القدرة (أي القادر على كل شيء).

كلمة «theism» التي تعني «الألوهية» مشتقة من الكلمة اليونانية «theos» أو «theoi» (التي تعني «الله»)، وقد استخدمها لأول مرة عالِم الدين والفيلسوف الإنجليزي «رالف

كودوورث» (1617 - 1688). قال «كودوورث»، في كتابه (*The True Intellectual System of the Universe* 1678)، إن الألوهية هي الاعتقاد السائد «بأن من خلق كل شيء في الكون هو خالق عظيم منزَّه عن النقص». صاغ «كودوورث» - الذي كان يعارض بقوة «توماس هوبز» - مصطلح الألوهية؛ ليتعارض مع توجهات في الفلسفة التي كان يعتقد أنها تروِّج للإلحاد.

ينقسم مذهب الألوهية إلى قسمين مختلفين: الوحدانية أي الإيمان بوجود إله واحد، والإيمان بوجود قوى أخرى في هذا الكون إلى جانب الله. ويدعو مذهب الوحدانية إلى الإيمان بأن هناك إلهًا واحدًا فقط، كما جاء في جميع الشرائع السماوية. تعد الشرائع السماوية - التي تدعو جميعًا إلى تعاليم ومبادئ واحدة مع اختلاف النصوص - أمثلة على الوحدانية المطلقة؛ أي الإيمان بوجود إله واحد فقط، وأن عبادة ما سواه باطلة، كما يوجد ما يُعرَف باسم الوحدانية الشاملة التي تقول إن هناك إلهًا واحدًا فقط؛ وهو الله، وهو الذي جاء ذكره في جميع الأديان، فهو إله واحد لا شريك له. تقوم جميع الشرائع التوحيدية على الإيمان بأن الله واحد، ولا إله غيره؛ أي أن الله لا يتطلب تجسده في الدنيا في صورة مادية وموضوعية من أجل إثبات وجوده.

أما الإيمان بوجود قوى أخرى في هذا الكون إلى جانب الله، فغالبًا ما يرتبط بالظواهر الطبيعية. وكانت بعض الثقافات التي تؤمن بذلك منتشرة بشكل خاص في العصور السحيقة؛ في مصر

القديمة واليونان وروما، وفي بعض الثقافات الأخرى بشمال أوروبا، كما أنها لا تزال موجودة حتى الآن في بعض دول آسيا.

وجود الله، الجزء 1

«أنسيلم» وبداية المسيرة

ذكر رجل الدين «أنسيلم» من مدينة كانتربيري (1033 - 1109)، في كتابه (*Proslogion* 1078)، بعض الحجج الأولية التي تدل على وحدانية الله، حيث عرّف الله بأنه «الخالق الأعظم الذي لا يمكن تصور وجود ما هو أعظم منه»، وقال إن هذا الخالق العظيم موجود في أذهان الجميع، حتى هؤلاء الذين ينكرون وجوده؛ لأن فكرة وجود خالق عظيم يدير هذا الكون لا بد أن تكون موجودة كي يتم إنكار وجودها؛ لذلك قال «أنسيلم» إنه إذا كان هناك تصور داخل العقل لوجود خالق عظيم، فلا بد أنه موجود أيضًا في الواقع؛ لذا لا بد أن يكون هذا الخالق العظيم موجودًا في العقل والواقع أيضًا، لكننا لا نستطيع رؤيته.

عارض الفيلسوف «جاونيلو»، الذي كان يعيش في مدينة تورز خلال القرن الحادي عشر، في كتابه *On Behalf of the Fool*، حجة «أنسيلم» التي تقضي بضرورة وجود هذا الخالق العظيم في العقل والواقع معًا، حيث ذكر له مثال «الجزيرة المفقودة» غير الموجودة في الواقع:

- الجزيرة المفقودة هي جزيرة لا يمكن تصور وجود ما هو أكبر منها.

- وجودها في الواقع أعظم من مجرد كونها فكرة قائمة في العقل فقط.

- إذا لم تكن الجزيرة المفقودة موجودة في الواقع، فيمكن للمرء أن يتخيل جزيرة أكبر موجودة بالفعل.

- لذا فإن الجزيرة المفقودة موجودة في الواقع.

ولهذا فإن اعتراض «جاونيلو» كان يتمثل في أنه نظرًا لعدم وجود الجزيرة المفقودة في الواقع، فإن المنطق المستخدَم لتأكيد وجودها، به خلل. وإذا كان المنطق في حالة الجزيرة المفقودة، به خلل، فيجب أيضًا أن يكون كذلك في حالة حجة «أنسيلم» الذي رد عليه من خلال الإشارة إلى أنه عرَّف الله بأنه «الخالق الأعظم الذي لا يمكن تصور وجود ما هو أعظم منه»، ومن ثم لا يمكن تطبيق حجته إلا على الذات العليا لله، وليس على الجزر (أو أي شيء آخر في الكون من صنع الله سبحانه وتعالى).

في الحقيقة كانت حجة «أنسيلم» هذه مجرد تأمل أو ملاحظة شخصية حول كيفية فهمه لوجود الله، وليس كما قال «كانت» لاحقًا إنها محاولة مبكرة لتطبيق المنطق الأنطولوجي على مسألة وجود

الله. لسوء حظ «أنسيلم»، أنه فتح الباب أمام موضوع فلسفي شائك لا يزال الجدل دائرًا بشأنه، حتى بعد ما يقرب من ألف عام.

وجود الله، الجزء 2

الحجج الخمس لـ «توما الأكويني»

كان «توما الأكويني» رجل دين وفيلسوفًا من جمهورية الدومينيكان، ويُعرَف في الأوساط الفلسفية باسمه المستعار «دكتور أنجيليكوس» (أي الطبيب الفاضل)، ويعد أحد أكثر فلاسفة الدين تأثيرًا، وذلك من خلال مشروعه الذي استمر طيلة حياته لجمع التعاليم الدينية والفكر الفلسفي لـ «أرسطو». كان أشهر أعمال «توما الأكويني» كتاب *Summa Contra Gentiles* الذي كتبه (نحو 1259 - 1265)، لمساعدة رجال الدين الأوائل الذين كانوا يعملون على نشر التعاليم الدينية، وكتاب *Summa Theologiae* (نحو 1265 - 1274) وهو نوع من الكتب الدراسية لرجال الدين الشباب الذين يقومون بدراسة التعاليم الدينية. يحتوي هذا الكتاب على ما يُعرف في الدوائر الدينية والفلسفية باسم «الحجج الخمس» (أو quinque viae) لوجود الله، على عكس الحجة الأنطولوجية لـ «أنسيلم» والتي تتمحور حول مفهوم وجود الله، وتستند حجج «توما الأكويني» إلى طريقة «أرسطو» في التفكير فيما يتعلق بتجربتنا وملاحظاتنا للعالم. والحجج الخمس بالترتيب هي:

- «حجة المحرك غير المتحرك»، لقد استلهم «توما الأكويني» بعض الأفكار من خلال قراءته أعمال «أرسطو». وقد خلص

الأول من خلال الملاحظة العامة إلى أن الأشياء في هذا الكون تتحرك. ويترتب على ذلك أن كل جسم متحرك الآن قد حرَّكه جسم أو قوة أخرى، وهذا الجسم أو القوة الأخرى، بدورها، حرَّكها جسم آخر. إذن لا يمكن أن يتحرك أي شيء من تلقاء نفسه. فإذا كان لكل كائن متحرك «محرك»، فإن الكائن الأول المتحرك يحتاج أيضًا إلى «محرك»؛ أي المحرك غير المتحرك الذي بدأ الحركة. خلص «توما الأكويني» إلى أن «المحرك غير المتحرك» هو الله.

- حجة المسبب الأول، من خلال مزيد من الدراسة للحجج السابقة لفحص المسبب الأول لوجود الأشياء، يمكننا أن نلاحظ أن الأشياء في هذا العالم قد خُلقت بواسطة قوة عليا، وليس من تلقاء نفسها؛ فلا يمكن أن يكون أي شيء سببًا لذاته أو يتم خلقه من العدم، ولا يمكن أن تكون هناك عملية مستمرة ولا نهائية من السببية والخلق دون نقطة بداية تمثل المسبب الأول، وهذا «المسبب الأول» هو الله.

- حجة المخلوقات العرضية والواجبة، ميز «الأكويني» بين ما سماه مخلوقات عرضية، أو ممكنة، ومخلوقات ضرورية بالنسبة للمخلوقات أو الأشياء العرضية، التي كان هناك وقت لم تكن موجودة فيه (قبل أن تُخلق)، وسيكون هناك وقت أيضًا تفنى فيه من الوجود. ورغم ذلك لا يمكن أن تكون

كل المخلوقات عرضية؛ لأن هذا يشير إلى أنه كان هناك وقت لم يكن فيه أي شيء في هذا الكون، وسوف يحدث ذلك مرة أخرى، لذا يجب أن يكون هناك خالق قد خلق كل هذه المخلوقات العرضية، وهذا الخالق هو الله.

- «حجة درجات الكمال المتفاوتة». يرصد «الأكويني» القدرة البشرية على تقييم جودة الأشياء في الكون، عندما نقيِّم لوحة بأنها أجمل من الأخرى، أو نقيِّم شخصًا بأنه أكثر فضيلة من غيره، وتصدر هذه الأحكام عن طريق تصنيف الجودة مقابل تصور عن الكمال. ورغم أن لدينا معايير معينة للكيفية التي يجب أن يكون عليها الأشخاص والأشياء، فإنه لم يكن بإمكاننا وضع مثل هذه المعايير، ما لم يكن هناك بداخلنا تصور عن ذات كاملة في كل شيء. وهذه الذات الكاملة التي يتم الحكم على جميع الصفات على أساسها هي الذات الإلهية.

- تشكل الحجة الأخيرة لـ «الأكويني» الأساس لما يُعرَف بـ «الحجة من التصميم الإلهي». يبدأ من خلال القول بأن كل الأشياء الطبيعية الموجودة في الكون إنما خُلقت لغرض محدد، على سبيل المثال خُلقت أجنحة الطيور لتساعدها على الطيران، وخُلقت الأذنان لاستيعاب الأصوات. ومن ثم خلص «الأكويني» إلى أنه إذا كان كل شيء قد خُلق لغرض

أو غاية، فلا يمكن أن يكون قد خُلق مصادفة، بل يجب أن يكون قد صمّمه خالق مبدع، وهذا الخالق هو الله. تُعرَف هذه الحجة الأخيرة باسم «الحجة الغائية». والغائية هي دراسة الغرض والغايات والأهداف في العمليات الطبيعية.

«ويليام بايلي» وحجة صانع الساعات

كان «ويليام بايلي» (1743 - 1805) رجل دين وفيلسوفًا إنجليزيًّا اشتهر بكتابه الذي يحمل عنوانًا طويلًا جدًّا؛ وهو *Natural Theology or Evidences of the Existence and Attributes of the Deity collected from the Appearances of Nature* (1802)، ويقدم فيه حجة غائية في شكل حكاية افتراضية تُعرف باسم «تشبيه صانع الساعات».

يفترض «بايلي» أنه أثناء سيره في مرج، داست قدمه على حجر، وتساءل عن كيفية ظهور ذلك الحجر هناك، فمن المرجح أن يستنتج أنه كان هناك دائمًا، لكن إذا وجد ساعة أثناء سيره في المرج، فلن يفترض أنها وصلت إلى هناك مصادفة.

«الأكويني» وحزام العفة

يبدو أن عائلة "الأكويني" حبسته في برج؛ في محاولة لمنعه من أن يصبح مجرد رجل دين بسيط، بدلًا من أن يتولى أحد المناصب الكبرى المرموقة. وأثناء وجوده هناك، حاولوا إغراءه بشتى السبل حتى يتراجع عن قراره، لكن "الأكويني" قاوم هذه الإغراءات، وراح يتضرع إلى الله. وخلال ذلك اليوم، زاره رجلان صالحان يبدو عليهما النقاء والطهارة ووضعا "حزام العفة" حول خصره. ومنذ ذلك اليوم أصبح بعيدًا كل البعد عن التفكير في الإغراءات والأفعال الشهوانية، ويعد هذا الفعل عنصرًا رئيسيًّا في شخصية "توما الأكويني" وفكره الديني، وما زال بعض رجال الدين في بعض الثقافات يرتدون هذا الحزام حول خصرهم كعلامة على الطهر والنقاء، كما كان هو الملهم لعبارة "حزام العفة" للحماية من ارتكاب الرذائل.

يُجري «بايلي» بعد ذلك تشبيهًا بين أوجه تعقيد الساعة وأوجه تعقيد العالم الطبيعي، ويوضح أن العالم به أوجه تعقيد مشابهة، إن لم تكن أكثر تعقيدًا بكثير، حيث يقول: «إن كل دليل على الإبداع، وكل جانب من جوانب دقة التصميم في الساعة، له شبيه في الطبيعة،

مع وجود بعض أوجه الاختلاف فيما يتعلق بالطبيعة، حيث إن دلائل الإبداع ودقة التصميم أعظم وأكبر بكثير، وذلك بدرجة تتجاوز كل الحسابات»؛ لذا يرى «بايلي» أنه نظرًا لأن الأسباب «المتشابهة» تشبه التأثيرات «المتشابهة»، وأن كلًّا من الساعة والعالم الطبيعي يشيران إلى الآليات المعقدة والمبدعة، فقد تم تصميم كل منهما على يد «مصمم قدير»، فالساعة قد صممها صانع ساعات، والعالم خلقه الله الخالق العظيم. وباستخدام هذه الحجة، استنتج أن هناك إلهًا عظيمًا خلق الكون وما فيه.

إن حجة «بايلي» وتشبيهه الدلالي - المبنيين على التجربة وليس المنطق - يقومان على الفرضية التي تقول إن «الأسباب المتشابهة تشبه التأثيرات المتشابهة» في هذه الحالة؛ لأن الآلات (مثل الساعة) والعالم الطبيعي تتشابه في طريقة تصميمها، يجب أن يكون لكل منها صانع قدير، لكن «بايلي» لم يضع هذه الفرضية للإجابة عن سؤال: ما مدى التشابه بين طريقة خلق العالم الطبيعي وطريقة تصميم الساعة؟

إحدى الحجج التي تكشف بعض أوجه الخلل في حجة «بايلي»، والتي تُنسب غالبًا عن طريق الخطأ إلى «ديفيد هيوم» (الذي تُوفي قبل ربع قرن من نشر كتاب *Natural Theology* لـ «بايلي»)، تتناول فكرة «الأسباب المتشابهة»، وتشير إلى بعض أوجه الخطأ المحتملة. أحد الأمثلة لذلك هو أن آلة معقدة مثل الساعة يتم تصميمها عادةً من قِبل فريق كامل من الأشخاص لا من شخص واحد فقط، أي عمال المناجم وعمال صناعة الفولاذ الذين

يستخرجون المواد ويشكلونها، وعمال المصانع الذين يصنعون الأجزاء ويجمعون الساعة، وهكذا. لذلك إذا تم تطبيق التشبيه على الكون، فإن ذلك يعني أن العالم الطبيعي أو الكون هو عمل مجموعة كاملة من المصممين أو الآلهة القديرين وليس من عمل خالق واحد، وهو الأمر الخطأ تمامًا، لكن تلك الحجة تتعارض إلى حد كبير مع مذهب الوحدانية لدى «بايلي».مكتبة سُر مَن قرأ

كما أن هناك اعتراضًا آخر على هذا التشبيه؛ وهو أن الآلات المعقدة تُصنع من خلال عملية التجربة والخطأ، فكل إصدار جديد يخضع لعملية تطوير وتحسين على مدى عدد من السنوات، وتعد التطورات السريعة في التكنولوجيا الحديثة خير مثال لهذه العملية؛ فلكي يكون تشبيه «بايلي» صحيحًا، يجب أن يكون خلق الله للعالم و الكون الطبيعي قد خضع لسلسلة مستمرة من التجارب، مع وجود أوجه خلل وعيوب تحتاج إلى تعديلها وتطويرها، وهذا بالطبع تصور خطأ تمامًا؛ لأن وجهة النظر هذه تتناقض مع قدرة الله على فعل أي شيء وتسويته في أحسن صورة من المرة الأولى.

جاء الاعتراض الأساسي على تشبيه صانع ساعات لـ «بايلي» في عام 1859، عندما نشر «تشارلز داروين» (1809 - 1882) كتاب *On the Origin of Species*. وترجع أهمية عمل «داروين» المميز والمثير للجدل، إلى أسباب عديدة، لكن هنا نحتاج إلى تسليط الضوء على ما يلي:

- قدَّم الكتاب النظرية العلمية التي تقول إن الناس يتطورون على مدار الأجيال من خلال عملية الانتقاء الطبيعي، وإن

تنوع الحياة الطبيعية نشأ عن طريق أصل مشترك من خلال نمط تطور متفرع.

- رغم أن الطبعة الأولى من كتاب «داروين» تحتوي على عدة إشارات إلى «الخلق» و«الخالق» - حيث يبدو أن «داروين» يعتقد أن الله خلق الأنواع من خلال «تصميم الانتقاء الطبيعي» - كانت الأفكار حول تحول الأنواع مثيرة للجدل؛ لأنها تتعارض مع المعتقدات التي تقول إن الأنواع كانت أجزاء غير متغيرة في التسلسل الهرمي المصمم، وإن البشر كانوا فريدين وغير مرتبطين بالحيوانات الأخرى.

- غيَّر «داروين» رأيه فيما بعد، واصفًا آراءه الدينية بالمتشددة. وقد كتب، في سيرته الذاتية، قائلًا: «إن الحجة القديمة المتعلقة بخلق الكون، كما قدّمها «بايلي»، والتي بدت لي في السابق حجة دامغة، فشلت الآن بعد أن تم اكتشاف قانون الانتقاء الطبيعي؛ حيث لم يعد بإمكاننا القول، على سبيل المثال، إن المفصلة الجميلة للصدفة ذات المصراعين يجب أن يكون قد صنعها خالق عظيم، على غرار صناعة مفصلة باب صنعها إنسان. يبدو أنه لم يعد هناك تصميم في تنوع الكائنات العضوية وفي نظرية الانتقاء الطبيعي أكثر مما يمكن توقعه، فكل شيء في الطبيعة هو نتيجة قوانين ثابتة».

وقد شكلت الاعتراضات الموجهة لتشبيه صانع الساعات الذي وضعه «بايلي»، أساس كتاب عالِم الأحياء التطوري ريتشارد دوكينز (*The Blind Watchmaker* 1986). «دوكينز» (ولد عام 1941)، هو أحد العلماء الذين أيدوا وجهات نظر وأفكار «داروين» تمامًا، حيث قال إن الانتقاء الطبيعي كافٍ لشرح الوظيفة الواضحة والنظام المعقد غير العشوائي للعالم الطبيعي، ويمكن القول إنه يلعب دور «صانع ساعات» في تشبيه «بايلي» في الطبيعة، وإن كان كصانع ساعات لا يوجهه أي مصمم ويقوم بعمله بشكل تلقائي.

وجود الله، الجزء 3

مشكلة الشر والمعاناة

تعد هذه الحجة من أقوى الحجج على إثبات وجود الله. وبعبارة بسيطة، كيف يمكن التوفيق بين المفاهيم التقليدية لقدرة الله المطلقة والخير المطلق في ظل وجود الشر والمعاناة. صاغ عالم الرياضيات والفيلسوف الألماني «جوتفريد لايبنتس» (1646 - 1716) نظرية «العدالة الإلهية»، في عمله *Theodicee* عام 1710، ليبرهن على وجود الله، حتى في ظل وجود الشر والمعاناة. تسير حجة «لايبنتس» على النحو التالي:

- يبدأ بتأكيد أن الله لديه حكمة وقوة غير محدودتين وأنه مصدر كل الخير، لكن البشر لا يمتلكون قوة مطلقة، كما أن حكمتهم وقدرتهم على التصرف محدودة.

- علاوة على ذلك، منح الله البشر القدرة على حرية الاختيار؛ وهذه القدرة بالتحديد هي التي تدفع البشر إلى المعتقدات الخاطئة والقرارات السيئة والأفعال السلبية.

- لا يخلق الله الألم أو المعاناة في هذا العالم جزافًا؛ فهناك «الشر الأخلاقي» (الناتج عن الأفكار والأفعال الخاطئة للبشر)، و«الشر المادي أو الطبيعي» (الناتج عن الألم والمعاناة من خلال أسباب طبيعية خارجة عن سيطرة الإنسان، مثل الكوارث كالزلازل والمجاعات والمرض والجفاف)؛ لأن هذه هي العواقب الأساسية «للشر الميتافيزيقي».

- يصف مفهوم الشر الميتافيزيقي طبيعة الحياة المحدودة، بأوجه القصور والعيوب التي تعتريها، على عكس الكمال التام الذي يختص به الله وحده؛ لذلك، نظرًا لأن البشر لا يتمتعون بالكمال، توجد أشكال من الشر كوسيلة يمكن للبشر من خلالها تحديد وقياس وتصحيح أفعالهم وقراراتهم المعيبة، بالقياس إلى معيار الخير المطلق الذي يختص به الله وحده، لكن تم انتقاد هذا المفهوم في الدوائر الفلسفية التعليمية (الدينية) بوصفه مفهومًا خطأ للشر؛ حيث يشير إلى أن القيود والعيوب خاطئة، وأن المصادفة والظروف لها بعض الجوانب السيئة.

في عام 1955 نشر الفيلسوف الأسترالي «جيه. إل. ماكي» (1917 - 1981) مقالته الشهيرة تحت عنوان *Evil and Omnipotence*، وقال إن مشكلة الشر نشأت لأن الأديان التوحيدية تؤكد أنه لا توجد حدود لقدرة الخالق المطلقة، فهو قادر على كل شيء. وفي حين أن نظرية «العدالة الإلهية» تؤكد أن قدرة الخالق محدودة، لكنها تؤمن في جزء منها بمفهوم «القدرة المطلقة»، فالله يسبب النتائج بناءً على الضرورات المنطقية، كما يسمح بـ «الشر الطبيعي» مثل الكوارث الطبيعية (الزلازل، وما إلى ذلك) كنتيجة للشر الميتافيزيقي المتمثل في النقص.

لذا فإنه ينكر أن الخالق كلي القدرة؛ كما يقول إنه لا يستطيع القيام بأفعال مستحيلة منطقيًّا؛ لأنه يخضع للقوانين السببية التي خلقها، ولا يمكن أن يعود بالزمن إلى الوراء لإيقاف الظروف التي تسببت في الزلزال؛ لأن هذا من شأنه أن ينكر العيوب الميتافيزيقية الناتجة عن استخدام الشر كوسيلة لقياس الخير؛ لذا فهو يخلص إلى أن الخالق قد خلق شيئًا لا يستطيع السيطرة عليه، ومن ثم فهو ليس كلي القدرة.

تقول نظرية العدالة الإلهية إن الخير لا يمكن أن يوجد بدون الشر؛ لأن الشر الذي هو عكس الخير ضروري لقياس الخير على أساسه، وفي هذا الصدد يقول «ماكي»:

- لا يحتاج شيء ما بالضرورة إلى نظيره كي يكون موجودًا، فهو يقول، على سبيل المثال، إنه في حين قد يكون من

المنطقي وجود ألوان أخرى في الكون لكي نلاحظ اللون الأحمر، فليس بالضرورة أن يكون الأمر كذلك، فمن الممكن أن يكون كل شيء في الكون ذا لون أحمر، ورغم أننا لن تكون لدينا القدرة على معرفة الفرق بينه وبين الألوان الأخرى، ولن نعرف أن اسم هذا اللون الذي يسود كل شيء يسمى («أحمر»)، ومع ذلك فإنه سيظل موجودًا.

- إن الشر ليس موجودًا لتحقيق مستوى أعلى من الخير. فبالنسبة له، تتناقض هذه الحجة مع الفرضية المناقضة - فإذا كان هناك مستوى أعلى من الخير، فيجب أن يكون هناك بدوره مستوى أعلى من الشر لا يستطيع أحد التحكم فيه. يخلص «ماكي» إلى أن الاعتماد على القدرة المطلقة في النظريات الدينية لا يتوافق منطقيًّا مع وجود الشر بأي شكل من الأشكال.

قال الفيلسوف ورجل الدين الأمريكي «ويليام رو» (*1931 - 2015*)، في كتابه *(The Problem of Evil and Some Varieties of Athe-ism 1979)*، إنه بينما يبدو من المعقول ظاهريًّا بأن يسمح الله ببعض المعاناة «المحدودة» لتمكين البشر من النمو والتطور («الخير الأكبر»)، لم يسمح الله بـ«المعاناة الشديدة»- حسبما وصفها «رو» - إلا في أضيق الحدود. على سبيل المثال المعاناة الأليمة للحيوانات المسالمة.

لقد استخدم سقوط صغير الغزال في حريق كبير بالغابة كمثال على المعاناة الأليمة للحيوانات.

يرى «رو» أن الخالق كليُّ القدرة، والعالِم بكل شيء، من شأنه، بحكم التعريف، أن يدرك أن هناك معاناة شديدة تحدث ويمكن أن يمنع حدوث المعاناة. إذا كان الشر والمعاناة لا طائل منهما، ولا يخدمان أي غرض، وكان من الممكن تجنبهما، فعلى الأرجح سيمنع حدوثهما، إلا إذا كان القيام بذلك من شأنه أن يتعارض مع «الخير الأكبر» أو يؤدي إلى شيء لا يقل عنه في السوء والشر. ونظرًا لأن المعاناة التي لا طائل من ورائها والتي يمكن تجنبها سائدة في العالم، خلص «رو» إلى أنه لا وجود لقوة عليا تقدر على فعل كل شيء. تُعرَف وجهة نظر «رو» بأنها مثال لـ «الحجة الاستدلالية من الشر».

«أوغسطينوس من هيبون» من الإثم إلى التوبة

تأثرت صياغات «لايبنتس» لمفهوم «العدالة الإلهية» بشدة بأفكار الفيلسوف ورجل الدين «أوغسطينوس» (354–430). وقد وُلد «أوغسطينوس» في مدينة طاجست؛ وهي مدينة قديمة تقع في إحدى مقاطعات الإمبراطورية الرومانية بشمال أفريقيا، الجزائر، ودرس اللغة اللاتينية والبلاغة في قرطاج، وكانت مركزًا تعليميًّا معروفًا آنذاك. رغم أن والديه كانا يعتنقان ديانتين مختلفتين، فقد اتبع «أوغسطينوس» ديانة أخرى مختلفة عنهما، وكان يهتم بالمعركة

الأبدية بين الخير والشر، والضوء والظلام، وما إلى ذلك. وبينما كان في قرطاج أتى بسلوكيات مُشينة، وانغمس في حياة الملذات، وارتكب الكثير من الآثام.

لكنه ذات يوم وبينما كان يتأمل حاله وهو يشعر باليأس بعد انغماسه في إحدى الملذات، دخل حديقة حيث سمع نداءً يأمره بالعودة إلى المنزل والقراءة، فعاد إلى بيته، وكان الكتاب الأول الذي فتحه أحد الكتب الروحية. وفتح صفحة عشوائية، وقرأ بعض العبارات التي تدعو إلى ترك الشغب والسكر، والفسق والفجور، وترك النزاع والحسد، وتكريس حياته لعبادة الله. اعتبر «أوغسطينوس» هذه الحادثة بمثابة دعوة من الله له لترك حياة الفسوق، وتكريس حياته لعبادة الله، فعاد إلى اتباع تعاليم الدين القويم على الفور، كما عاد إلى وطنه الجزائر حيث تم تعيينه رجل دين في إحدى دور العبادة بمدينة هيبون (عنابة الآن) عام 396 م.

تتمحور نظرية «العدالة الإلهية» لديه حول ما يلي:

- الحجة القائلة بأن الله خلق البشر وجعلهم كائنات عاقلة تمتلك إرادة حرة.

- لم يقصد الله بالإرادة الحرة أن يقدم خيارًا بين الخير والشر، بل تعني الإرادة الحرة الإرادة الخالية من الخطيئة.

- أن الخطيئة الأولى للإنسان أفسدت إرادة البشر وجلبت المعاناة إلى هذا العالم.

- وبينما قال «أوغسطينوس» إن الإرادة الحرة يمكن أن تفسد، فرغم ذلك أكد أن وجود الإرادة الحرة أمر حيوي لكي تسمو الروح البشرية وتتحلى بالفضيلة وتنجو من الهلاك.

- في إشارة سابقة لمفهوم «لايبنتس» عن الشر الميتافيزيقي، قال «أوغسطينوس» إن البشر من الممكن أن يرتكبوا أفعال الشر؛ ليس لأنهم أشرار بطبيعتهم، ولكن لأنهم لا يتسمون بالكمال؛ فهي صفة من صفات الله وحده، ومن ثم فهم معرَّضون للخطأ والزلل، ولكن يمكنهم التوبة وطلب المغفرة من الله.

كرَّس «أوغسطينوس» بقية حياته لخدمة معتقداته الروحية، وترك كل ثروته الدنيوية والمادية، وقضى وقته في الوعظ والكتابة وتطوير بعض المبادئ الأساسية في التعاليم الدينية. كما عارض «أوغسطينوس» بشدة ممارسة العبودية، حيث اعتبرها نتاجًا لمخالفة تعاليم الله. وقد كتب، في كتابه *The City of God*، أن الله «لم يهدف من خلق هذا الكائن العقلاني؛ وهو الإنسان، والذي خلقه في أحسن صورة، للسيطرة على أي شيء سوى الكائنات غير العاقلة، فلا يحق للإنسان السيطرة على أخيه الإنسان، بل على الحيوانات فقط».

6

ما أنت بحاجة لمعرفته عن

فلسفة اللغة

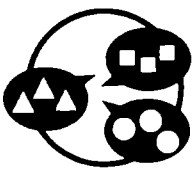

تطورت فلسفة اللغة، خاصة من منتصف القرن العشرين إلى أواخره، لتصبح من الاهتمامات الرئيسية للفلسفة والتخصصات ذات الصلة؛ مثل النظرية النقدية والعلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية. إن الفلسفة لها باع طويل في تحليل وتقييم وظائف اللغة، وأصولها، وطبيعة المعنى، واستخدام اللغة وإدراكها، كما تتناول بشكل خاص العلاقات بين اللغة والواقع.

تطرح فلسفة اللغة أسئلة مثل:

- ما المعنى؟
- كيف تشير اللغة إلى العالم الحقيقي؟

- هل اللغة فطرية أم مكتسبة؟
- كيف ينشأ معنى الجملة من أجزائها؟

«أفلاطون» وتسمية الأشياء

كان «أفلاطون» مهتمًّا بشكل خاص بأمور مثل: لماذا لدينا أسماء لكل الأشياء؟ وكيف تمكَّنّا من القيام بذلك؟ وما المعايير التي تحدد الاختيار الصحيح لاسم أي شيء بعينه؟ تم تضمين هذه الأسئلة في الحوار الوارد بالكتاب الذي يحمل اسم *Cratylus*، حيث طُلب من «سقراط» تسوية الخلاف بين اثنين من الفلاسفة الأثينيين هما «*كراتيلوس*» وصديقه «هيرموجينيس».

وكان جدالهما ينبع من الخلاف حول طبيعة أسماء الأشياء. صاغ «كراتيلوس» فرضية مفادها أن أسماء الأشياء هي تسميات مشتقة بشكل طبيعي، وهي تمثل الأشياء أو الأفكار والمفاهيم الأساسية أو المشاعر، لكن «هيرموجينيس» قال إن الأسماء تُمنح للأشياء من خلال الاصطلاحات، التي يُجمِع عليها مجتمع محدد أو مجموعة اجتماعية محددة، والتي يتم استخدام هذه الأسماء في نطاقها، ثم يسأل «سقراط» «هيرموجينيس»، الذي يسلِّم بأن الفرد يمكنه أن يطلق أسماء مختلفة على أشياء بما يتعارض مع الاصطلاحات المقبولة في هذا المجتمع، ثم يسأله «سقراط»، على سبيل المثال، ما الذي يمنع الشخص من تسمية الرجل بالحصان،

أو العكس. خلال هذا الحوار، الذي يضم بعض التأملات السخيفة التي لا يمكن فهمها في كثير من الأحيان حول أصل الكلمات في اللغة اليونانية، يستمر الجدال بين «كراتيلوس» الذي يؤكد أن إطلاق الأسماء على الأشياء عملية طبيعية تحدث كجزء من جوهر ما تصفه هذه الأسماء «المذهب الطبيعي»، و «هيرموجينيس» الذي يصر على أن الأسماء تنتج عن الاصطلاح «المذهب الاصطلاحي».

يبدو أيضًا أن موقف «سقراط» ومن ثم موقف «أفلاطون» يتأرجح بين الرأيين المتعارضين تمامًا. على سبيل المثال:

- لقد انحاز في البداية إلى رأي «كراتيلوس»، وانتقد المذهب الاصطلاحي، ربما كان ذلك جزئيًّا لأن فرضية «كراتيلوس» تعكس الفلسفة الميتافيزيقية اليونانية القديمة وتتوافق معها في مسألة النظام الطبيعي للأشياء في الكون.

- وقال إن بعض «الكلمات القيّمة» أو المفاهيم المهمة من الناحية الفلسفية لا يمكن أن تكون قد اكتسبت أسماءها بشكل عشوائي من خلال الاصطلاح، ولكن أسماءها تصف حقيقة ما تمثله.

- وقال أيضًا، في نهاية الحوار، إن الأشياء يمكن أن تكون لها حقيقة موضوعية لا يمكننا إدراكها، ومن ثم لا يمكن اعتبار الكلمات المجردة بمثابة تلخيص مثالي للجوهر الطبيعي للأشياء، إذا كانت لها حقيقة لا يمكننا ملاحظتها. وفي هذا

السياق يجب الالتزام ببعض عناصر المذهب الاصطلاحي، والتي تتمثل في الوحدة اللفظية التي تتوافق مع الشيء الذي تصفه.

تفسير «أرسطو»

تناول «أرسطو»؛ وهو تلميذ «أفلاطون» أحد الأسئلة الرئيسية المتعلقة بكيفية نقل المعنى من خلال اللغة عن طريق ربط اللغة بالمنطق في تحليل منهجي رسمي.

يبدأ كتاب «أرسطو»، الذي يحمل اسم *De Interpretatione*، والذي يترجم بالإنجليزية إلى (*On Interpretation*)، بتعريف الكلمات على أنها «مشاعر الروح». وقد اتفق معظم المفكرين على أن «أرسطو» كان يشير من خلال كلمة «المشاعر» (التي غالبًا ما تعني «العواطف» أيضًا) إلى الوظائف، وكان يشير من خلال كلمة «الروح» إلى العقل البشري؛ لذلك فإن عواطف أو مشاعر الروح هي من أعمال العقل، أو هي على وجه التحديد الآليات التي يقوم من خلالها العقل بترتيب الأشياء وإدراكها، والتي تكون الكلمات مكونًا رئيسيًّا لها.

بدأ «أرسطو» كتابه *De Interpretatione* من خلال:

- تحديد الفئات ووظائفها المختلفة وأوجه الشبه والتناقض بينها.

- ثم أكد أنه رغم اختلاف الألفاظ المنطوقة والمكتوبة بين اللغات، فإن التجارب العقلية متشابهة لدى الجميع. على سبيل المثال، الكلمة الإنجليزية «cat» والتي تعني في اللغة الإسبانية «gato» أي «القط»، هما لفظان مختلفان، لكن التجربة العقلية التي يرمزان إليها - مفهوم القط - هي نفسها بالنسبة للمتحدثين باللغتين الإنجليزية والإسبانية.

- علاوة على ذلك، يقول «أرسطو» إن الأسماء والأفعال وحدها لا يمكنها تحديد الحقيقة أو الكذب. وعلى النقيض من «أفلاطون»، يقول «أرسطو» إن الأسماء تضفي أهمية على الشيء الذي تصفه من خلال الاصطلاح، لكنها لا تشير إلى وقت محدد، على عكس الأفعال التي عندما يتم تصريفها في أزمنة مختلفة، تشير إلى وقت محدد. على سبيل المثال عبارة: «سوف أتناول السمك، الليلة» (تشير إلى المستقبل)، وعلى النقيض من ذلك «تناولت السمك بالأمس» (تشير إلى الماضي)، أما «أتناول السمك الآن» (تشير إلى الحاضر).

- ثم ينتقل «أرسطو» إلى الجمل، ويقول إنه على الرغم من أن الكلمات وحدها لها أهمية، فإن الجمل وحدها (كلمات مرتبطة ببعضها) هي التي لديها القدرة على تكوين تعبيرات مترابطة مثل الأسئلة والعبارات وجمل التعجب. كما تستطيع

الجمل تأكيد أو نفي التعبيرات، وذلك من خلال العلاقات المتداخلة للأجزاء المكوِّنة لها (المبتدأ والخبر).

- هذا التمييز بين كيفية نقل المعنى بشكل مختلف من خلال الكلمات وحدها أو من خلال الجمل، يشكل أهمية، بالنسبة لـ«أرسطو»؛ لأنه فيما يتعلق بالفلسفة، له آثار عميقة في تقييم العبارات.

- تحتوي العبارات البسيطة على فعل يحدد الفاعل في الجملة ويشير إلى حقيقة واحدة مثل («سوف تمطر السماء، اليوم»). بينما تتكون العبارات المركبة من عدة جمل مثل «الرياح ستحرك السحب، ولن تمطر السماء، اليوم».

- نقرُّ بصحة العبارات أو خطئها من خلال التأكيدات، على سبيل المثال، تؤكد عبارة «البشر مخلوقات عاقلة» أن البشر حباهم الله بالعقل. على العكس من ذلك، عبارة «الأشجار ليست مخلوقات عاقلة» تنفي كون «الأشجار» «عاقلة».

- ثم يتوسع «أرسطو» في تحليله نحو ما يصفه بـ«العبارات الشاملة» ومشكلة الجمل المتناقضة، فنجد أنه في الجملتين المتضادتين، يجب أن تكون إحداهما صحيحة، والأخرى خاطئة، لكن لا يمكن أن تكون كلتاهما صحيحة، رغم أنه يمكن أن تكون كلتاهما خاطئة، ومن ثم يكون التناقض بينهما

صحيحًا. على سبيل المثال «كل سياسي كاذب»، و«لا يوجد سياسي كاذب» كلتاهما خاطئة، لكن في حال التناقض بينهما تكونان كالآتي: «بعض السياسيين يقولون الحقيقة»، و«بعض السياسيين لا يقولون الحقيقة»، وكلتاهما تعد صحيحة.

- عند تحليل العبارات المتناقضة فيما يتعلق بالماضي والحاضر، يجب أن تكون إحداهما صحيحة، والأخرى خاطئة، لذا فإن عبارة: «أمطرت السماء بالأمس»، و «لم تمطر السماء بالأمس» تقدم مناقضة ثنائية (فإما أن السماء أمطرت أو لم تمطر)، لكن عندما يتم التعبير عن الموضوع في صورة عبارة مستقبلية، لا يمكن تطبيق قاعدة الصواب والخطأ؛ لأن هذا من شأنه أن يدحض عناصر الاحتمال.

مشكلة الاحتمالات المستقبلية

عبّر «أرسطو» عن مشكلة الاحتمالات المستقبلية من خلال ما يُعرَف بـ «مثال المعركة البحرية». على سبيل المثال عبارة «ستقع معركة بحرية»، وعكس ذلك «لن تقع معركة بحرية». في كلتا الحالتين ستكون إحدى هاتين العبارتين صحيحة أو خاطئة، حسبما يتوافق مع ما سيحدث في المستقبل، فإذا كانت هناك معركة بحرية الآن، فمن المؤكد دائمًا أنه ستكون هناك معركة بحرية في المستقبل؛ حيث إن ما هو حقيقي في المستقبل، كان حقيقيًّا في الماضي كذلك. على

العكس من ذلك، إذا لم تكن هناك معركة بحرية الآن، فمن المؤكد دائمًا أنه لن تكون هناك معركة بحرية في المستقبل.

لكن ازدواجية الحدث المستقبلي؛ والذي كان حقيقة في الماضي، تطرح المشكلة التالية وهي: إذا كان من المؤكد دائمًا أن تكون هناك معركة بحرية في المستقبل، فهذا يعني أنه لن يتمكن أحد من منع حدوثها، وعلى العكس من ذلك إذا كان صحيحًا دائمًا أنه لن تكون هناك معركة بحرية، فلن يكون هناك احتمال لتدخُّل أي شخص والتسبب في اندلاعها، ومن ثم فإن وقوع المعركة أو عدم وقوعها أمر ضروري، وهذه «الضرورة» ترجع إلى الماضي، لذلك نكون عاجزين عن تشكيل أحداث الماضي أو التأثير في أحداث المستقبل. فمثلما لا نستطيع تغيير الماضي، كذلك هي الحال بالنسبة للمستقبل.

كان الحل الأساسي الذي توصّل إليه «أرسطو» هو إنكار أن الاحتمالات المستقبلية لها قيمة حقيقية، ومن ثم فإن عبارة «ستكون هناك معركة بحرية» و«لن تكون هناك معركة بحرية» ليست صحيحة ولا خاطئة:

يجب في مثل هذه الحالات أن تكون إحدى العبارتين صحيحة، والأخرى خاطئة، لكن لا يمكننا أن نقول بشكل قاطع إن هذه أو تلك غير صحيحة، بل يجب أن نترك العبارة البديلة دون الحسم بصحتها أو خطئها. قد تكون إحدى هاتين العبارتين أكثر صحة من الأخرى، لكن لا يمكن أن تكون إما صحيحة أو خاطئة؛ لذا من الواضح أنه ليس من الضروري

تأكيد صحة واحدة ونفي صحة الأخرى، وأن تكون إحداهما صحيحة، والأخرى خاطئة؛ لأنه في حالة الشيء المحتمل حدوثه وليس الموجود في الواقع بالفعل، فإن القاعدة التي تنطبق على ما هو موجود في الواقع لا تكون صحيحة.

«أرسطو» في كتاب *ON INTERPRETATION*

(ترجمة «إيلا ماري إيدجيل»)

ما المعنى؟

شهدت فلسفة اللغة ما يشبه النهضة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ولا سيما من خلال العمل الرائد للفيلسوف «جوتلوب فريجه» (1848 - 1925)، و«لودفيج فيتجنشتاين»، و«برتراند راسل» (1872 - 1970)، وبعد نشر كتاب *Cours de linguistique généralé* بقلم «فرديناند دي سوسيير» (1857 - 1913)، الذي نُشر بعد وفاته عام 1916. *Course in general linguistics*

أثبتت فرضية «سوسيير» أنها ذات تأثير كبير، ومهّدت الطريق لتطوير السيميائية (علم العلامات والرموز)، والبنيوية (إطار نظري للكشف عن الأنماط الكامنة في الفكر والسلوك البشري). فيما يتعلق بمساهمة «سوسيير» في علم اللغة، كان الأساس هو النظرية القائلة بأن اللغة تتكون من مستويين منفصلين عرّفهما بـ *"langue" and "parole"* أي «اللغة» و«الكلام».

- تتضمن «*اللغة*» المبادئ الأساسية والقواعد المنهجية والتعبيرات التجريدية والاصطلاحات التي تتكون منها اللغة (استخدم «سوسيير» مصطلح «نظام الدلالة» حيث يمكن أن تشير *اللغة* إلى اللغات المرئية أو غير اللفظية).

- أما «*الكلام*» فهو التواصل، سواء شفهيًّا أم من خلال الكتابة أم عن طريق الإشارات والإيماءات. من خلال فهم العلاقة بين جزأي الإشارة من خلال *اللغة*، يمكن فهم جوهر التواصل أو *الكلام*.

فبدون فهم *اللغة* فإن *الكلام* سيكون عبارة عن أصوات أو رموز لا معنى لها يتم تجميعها بشكل عشوائي. استخدم «سوسيير» لعبة الشطرنج مثالًا لشرح كيفية عمل *اللغة والكلام* معًا. يتم تشبيه *اللغة* بقواعد لعبة الشطرنج، بينما يتم تشبيه *الكلام* باختيار اللاعبين الفرديين للحركات. من الممكن تحليل جميع الحركات الفردية في لعبة الشطرنج (*الكلام*)، واستخلاص القواعد (من خلال تحديد الأنماط المتكررة) التي تحكم اللعبة، ولكن في الواقع كل ما تستلزمه هذه العملية هو فك رموز *اللغة*؛ أي المبادئ الأساسية التي تجعل اللعبة تعمل كوحدة مترابطة.

رغم أن أفكار «سوسيير» توفر إطارًا نظريًّا لبنية المعنى في التواصل، فإنها لم تنجح في تناول كيفية ارتباط المعنى بالعالم من حولنا وتمثيله. قال «فريجه» إنه من أجل فهم كيفية تمثيل اللغة

للواقع، يلزم التمييز ضمن مفهومنا البديهي للمعنى، والذي يتوافق تقريبًا مع *اللغة* لدى «سوسيير».

كان «فريجه» من أوائل المدافعين عما يُعرَف في علم اللغة بالنظرية المرجعية الوسيطة، لكن ماذا تتضمن هذه النظرية؟

- تشير الكلمات أو الإشارات إلى شيء ما في العالم الخارجي، وأن هناك معنى للإشارة أكثر من مجرد الشيء الذي تشير إليه.

- قام «فريجه» بعمل هذا التمييز من خلال تقسيم القيمة الدلالية لكل تعبير (بما في ذلك الجمل) إلى مكونيْن أطلق عليهما اسم Sinn (الذي يعني تقريبًا «المعنى»)، و*Bedeutung* (الذي يعني «الدلالة» أو «المرجع»).

- *معنى* الجملة هو الفكرة المجردة والشاملة والموضوعية التي يعبر عنها، ويعني أيضًا طريقة عرض الشيء الذي يشير إليه.

- *الدلالة* هي الشيء أو الأشياء التي تشير إليها الكلمات في العالم الحقيقي، وهي التي تمثل قيمة الحقيقة أي (الصواب أو الخطأ).

- يحدد المعنى المرجع، لكن الأسماء التي تشير إلى الشيء نفسه، يمكن أن تكون لها معانٍ مختلفة.

- يوضح «فريجه» حجته بالإشارة إلى تعبيرين شائعين لوصف كوكب الزهرة: «نجمة الصباح» و«نجمة المساء». رغم أن كلا التعبيرين يشترك في المرجع نفسه، فإن المعنى مختلف في الواقع؛ حيث يمكن رؤية كوكب الزهرة في أوقات مختلفة من اليوم.

إن الإجابة عن سؤال: «ما المعنى؟» تعد أكثر تعقيدًا مما يبدو؛ حيث إن تعريف المعنى، كما ورد في المعجم، هو المحتوى الذي تحمله الكلمات أو الإشارات (أو الأفعال) التي يتبادلها الأشخاص عند التواصل؛ إما عن قصد أو عن غير قصد، من خلال شكل من أشكال اللغة. يمكن القول إن هناك شكلين أساسيين مختلفين للمعنى اللغوي. أولاً المعنى المفاهيمي الذي يشير إلى تعريفات الكلمات نفسها وجوانب تلك التعريفات، بما في ذلك قيمتها الدلالية الفردية. ثانيًا المعنى الترابطي الذي يشير إلى التعريفات الذهنية الفردية للشخص الذي يقوم بعملية التواصل، وقد تكون انعكاسية تحددها دلالة جماعية واجتماعية.

الثورة التي أحدثها «نعوم تشومسكي» في اللغة

في منتصف الخمسينيات من القرن العشرين، بدأ عالِم اللغويات والفيلسوف الأمريكي والأستاذ الجامعي «نعوم تشومسكي»، الذي وُلد عام (1928) ثورة في التحليل اللغوي، من خلال كتابه 1957 *Synthetic Structures*، حيث عارض وجهة النظر المتعارف عليها، والتي تقول بأن الأطفال يكتسبون اللغة من خلال التعلم والتجربة، فهو يرى أن السرعة التي يتم بها إتقان اللغة تشير إلى أنه لا بد أن هناك استعدادًا فطريًّا لتعلم اللغة. لقد استنتج أن هذا يعني وجود قواعد عامة غير مكتسبة للغة توفر قواعد يمكن التعرف عليها على الفور، مهما كانت اللغة التي تصادفها، وأن هناك مستويين من المعرفة اللغوية: البنية العميقة التي تشير إلى القواعد العامة المشتركة بين جميع اللغات، والبنية السطحية التي تشمل أصواتًا وكلمات محددة مستخدمة في لغة معينة. يؤمن «تشومسكي» بأننا جميعًا مبرمَجون على اكتساب اللغة واستيعابها. وقد كرر الإشارة إلى الآثار العقلانية والتجريبية لهذه الفكرة، في كتاب *Cortesian Linguistics 1966*.

«فيتجنشتاين» واستخدام نظرية اللغة

كان «لودفيج فيتجنشتاين» أحد أهم فلاسفة القرن العشرين ونشر كتابين مخصصين في فلسفة اللغة هما *Tractatus Logico Phil-osophicus 1921*، وكتاب *Philosophical Investigations 1953*. يتمثل الجانب اللافت للنظر في كتابات «فيتجنشتاين» عن اللغة في أن موقفه يختلف اختلافًا جذريًّا في هذين العملين؛ حيث يضع كتاب *Tractatus* (الذي أصبح أطروحة الدكتوراه الخاصة به في جامعة كامبريدج) الأساس للنظرية التمثيلية للغة، والتي أطلق عليها «نظرية الصورة».

يرى «فيتجنشتاين» - على الأقل في أعماله الأولى - أن ما ندرك أنه «حقيقة» العالم هو عبارة عن مجموعة هائلة من الفرضيات، والفرض من هذه الفرضيات إثبات الحقائق (صواب أو خطأ)، خاصة الحقائق التي يمكن عرضها أو «تصويرها» في اللغة. وقال إن «العالم هو مجموع الحقائق، وليس مجموع الأشياء»، وإن إدراكنا لهذه الحقائق يتم من خلال المنطق؛ لذا فإن الغرض من الفلسفة هو تجريد اللغة وإعادتها إلى أشكالها المنطقية؛ حتى نتمكن من الحصول على صورة أوضح لواقع العالم. والأمر بالطبع يتعلق بأن تلك اللغة التي لا تتعامل مع هذه الصورة أو الحقائق - أي التوقعات، والمشاعر، والأوصاف الجمالية، والأحكام التقديرية، وما إلى ذلك - ولا تتوافق مع المنطق الخالص تصبح بلا معنى. ومن هنا جاء القول الشهير

لـ «فيتجنشتاين» في ختام كتاب *Tractatus*: «حين لا يمكننا التحدث، يجب أن نظل صامتين»، أو بعبارة أخرى، اللغة، ومن ثم الفكر الإنساني محدودان فيما يتعلق بواقع العالم كما هو حقًّا.

أثبت كتاب *Tractatus* تأثيره الكبير في مجموعة من الأكاديميين في جامعة فيينا بين الحربين العالميتين، حيث بدأ أتباع مذهب الوضعية المنطقية - كما كان يطلَق عليهم آنذاك - دحض ما اعتبروه فرضيات «لا يمكن إثبات صحتها» من خلال تطبيق المنطق على المشكلات الفلسفية، ومع ذلك لم يكن «فيتجنشتاين» عضوًا في هذه المجموعة؛ حيث رأى أنه قال كل ما بوسعه عن الفلسفة، أو أنه لم يقل ما لا يستطيع قوله فترك الفلسفة وعمل مدرسًا في مدرسة، ثم بستانيًّا، ثم درس الهندسة المعمارية، وقام بتصميم وبناء منزل في فيينا لأخته «جريتل».

إحدى النقاط الرئيسية فيما يتعلق بشخصية «فيتجنشتاين» أن عمله الثاني *Philosophical Investigations*، يرصد التحول في تفكيره خلال فترة عمله الثانية بجامعة كامبريدج. ويتمثل هذا التحول في التوقف عن النظر إلى اللغة كهيكل ثابت مفروض على العالم، إلى رؤيتها على أنها مرنة ومرتبطة ارتباطًا وثيقًا بممارساتنا اليومية وأشكال حياتنا الاجتماعية. قال «فيتجنشتاين» إن المعنى في اللغة لم يكن - كما أكد سابقًا - عبارة عن عملية تحديد الشكل المنطقي للعالم كما هو، بل إن المعنى في اللغة مشتق من المصطلحات المحددة بشكل متعارف عليه، التي تشكل «ألعاب اللغة»، والتي تتم ممارستها في حياتنا اليومية. حيث قال: «في معظم

الحالات يكون معنى الكلمة هو استخدامها»، مؤكداً أن المعنى لا يُشتق من معنى الكلمات في حد ذاتها، ولكن من الطريقة التي يتم التعبير عنها بها، والسياقات التي يتم استخدامها فيها. يعتمد نموذج التواصل هذا على استخدام المصطلحات المتفق عليها، والدلالات الخاصة بمجتمع لغوي بعينه.

«فيتجنشتاين»: كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس

بناءً على اقتراح صديقه ومعلمه «برتراند راسل» (ومن أجل الحصول على منصب في التدريس والبحث في جامعة كامبريدج)، تم حث «فيتجنشتاين» على تقديم مخطوطة كتابه *Tractatus Logico Philosophicus* للحصول على درجة الدكتوراه. تألفت لجنة الاختبار الشفهي من «راسل» و«جي. إيه. مور» و«نورمان مالكوم» (1911_1990)؛ وهم ثلاثة من أبرز المفكرين في المملكة المتحدة. يُقال إن «فيتجنشتاين» بدأ المناقشة بإلقاء أطروحته بقوة على المنضدة، ثم تحدّث إلى اللجنة قائلًا: «يمكننا التحدث عن هذا المحتوى طوال اليوم دون أن يفهم ثلاثتكم ما ورد فيه على الإطلاق». علّق «مور» فيما بعد أنه وجد صعوبة في استيعاب أجزاء كبيرة من Tractatus، لكن مستوى رسالة الدكتوراه هذه كان أعلى بكثير من مستوى معظم رسائل الدكتوراه الأخرى، لذلك منحها موافقته.

يتضمن التواصل في هذا النموذج استخدام المصطلحات المتعارف عليه بالطريقة التي يقرّها مجتمع لغوي، وممارسة «لعبة لغة» مقبولة ومتفق عليها. تفسح نظريات «فيتجنشتاين» أيضًا المجال أمام اللغة غير اللفظية والإيماءات والحركات ولغة الجسد، وتقول، على سبيل المثال، إن السبب وراء عدم تمكن البشر من التواصل مباشرة مع معظم الحيوانات أننا لا نفهم ألعابهم اللغوية، مثلما لا يمكنهم فهم ألعابنا اللغوية.

ولتناول قيمة استخدام اللغة بمزيد من التفصيل، يميز «فيتجنشتاين» بين اللغة العامة واللغة الخاصة. الفرق الأساسي بين الاثنتين أن اللغة العامة تتعلق باللغة المستخدمة في الخطاب (التواصل)، واللغة الخاصة تتعلق بلغة العقل (أفكارنا الداخلية). كان «فيتجنشتاين» مقتنعًا بأن كل لغة يتم اكتسابها اجتماعيًّا، ومن ثم فإن كل لغة هي لغة عامة بشكل أو بآخر، ولهذا فإن تلك اللغة الخاصة لا توجد بمعزل عن سياق معين. يستخدم «فيتجنشتاين» استعارة الترس الدائر لمعارضة الرأي القائل بأن اللغة الخاصة للعقل يمكن أن توجد بشكل مستقل، حيث يقول عنها: «الترس الذي يدور دون أن يتحرك أي شيء معه».

تصرفات «فيتجنشتاين» غريبة الأطوار

خلال الفترة التي قضاها في جامعة كامبريدج، اشتهر «فيتجنشتاين» بذكائه الفكري بقدر ما اشتهر بسلوكه غريب الأطوار في كثير من الأحيان. يصف زميل سابق وصديق مقرَّب له وهو عالِم الرياضيات

والفيلسوف «نورمان مالكوم»، تصرفات «فيتجنشتاين» الغريبة بأدق التفاصيل، في مذكراته. وفيما يلي ثلاثة أمثلة فقط:

- تقول إحدى الحكايات المعيبة، التي غالبًا ما يشكك أتباعه فيها، إنه هدد ذات مرة الفيلسوف المبجَّل «كارل بوبر» بضربه بمسعار المدفأة، خلال اجتماع لنادي العلوم الأخلاقية في جامعة كامبريدج.

- تبدأ محاضرات «فيتجنشتاين»، التي كان يحضرها «مالكوم» كثيرًا، بفرضية بسيطة - عادة ما تتناول موضوعًا يختلف معه «فيتجنشتاين» - ثم يخوض في موضوعات متعددة حتى يجد موضوعًا أكثر إثارة للحديث عنه. وكان «فيتجنشتاين» يتوقف فجأة عن الكلام من حين لآخر، ويحدّق إلى الطلاب، كأنه ينتظر أن يسأله أحدهم سؤالًا، ثم يسود الصمت، غالبًا لمدة تصل إلى عشرين دقيقة، قبل أن يبدأ «فيتجنشتاين» التحدث مرة أخرى.

- عند اندلاع الحرب العالمية الثانية، كان «فيتجنشتاين»، الذي تم انتخابه مؤخرًا أستاذًا متفرغًا للفلسفة، غاضبًا جدًّا من الصراع لدرجة أنه تولّى وظيفة حمّال في مستشفى جاي خلال القصف الذي تعرضت له لندن. كان من بين واجباته تفقُّد العنابر لصرف الأدوية. وبطبيعة «فيتجنشتاين» المعهودة كان غالبًا ما يتجاذب أطراف الحديث مع مرضاه

عن الحجج الفلسفية حول طبيعة الألم والمعاناة، ويثنيهم عن تناول الدواء.

لماذا لا تستطيع الكلاب التظاهر بالألم؟

عندما كانت مساعيه الفكرية الصارمة ترهقه، كانت الطريقة الرئيسية للاسترخاء التي يتبعها "فيتجنشتاين" ـ بخلاف مشاهدة أحد أفلام الغرب الأمريكي من الدرجة الثانية في السينما المحلية ـ هي الذهاب في نزهات طويلة على طول ضفة النهر. لاحظ "مالكوم" أنه عندما كان "فيتجنشتاين" ـ الذي اشتهر بمزاجه الحاد وسرعة الغضب ـ ينغمس في التمتع بالمناظر الطبيعية المحيطة، كان يسترخي ويبدأ إلقاء النكات؛ والتي عادة ما تدور حول موضوع فلسفي.

في إحدى المرات، ودون أية مقدمات، توجَّه "فيتجنشتاين" فجأة بالحديث إلى "مالكوم" وسأله: "لماذا لا تستطيع الكلاب التظاهر بالألم؟ هل تعتقد أن هذا بسبب صدقهم الشديد؟ لم تكن نكتة "فيتجنشتاين" الغريبة فرضية أو حقيقة تجريبية ثبتت صحتها أم لا عن الكلاب وصدقهم، أو طبيعتهم الداخلية الفطرية، بل إنها لعبة لغوية تدور حول فهم الإنسان للمفاهيم المرتبطة بكلمات "كلب" و"ألم" و"تظاهر" و"صادق". يضع "فيتجنشتاين" الكلمات عن عمد في سياق غريب وسخيف من أجل التشكيك في قيمتها.

«برتراند راسل»: الذرية المنطقية ونظرية الأوصاف

لقيت أفكار «فيتجنشتاين» فيما يتعلق باللغة - خاصة كما هو موضح في كتاب *Tractatus Logico Philosophicus*- استحسانًا كبيرًا مع نظرية الذرية المنطقية لمعلّمه وصديقه «برتراند راسل». أكدت طريقة «راسل» الفلسفية أنه من خلال التحليل الدقيق والبليغ، يمكن تقسيم اللغة إلى عناصر مكونة، وبمجرد ألا يعود في الإمكان تقسيم الجملة أكثر من ذلك، فإن كل ما يتبقى منها هو «ذراتها المنطقية». ومن ثم، من خلال الفحص الدقيق للذرات التي تشكل الجمل والعبارات، يمكن الكشف عن الفرضيات الأساسية، وتقييم مدى صحتها أو صدقها.

في مقالته 1905 *On Denoting*، استخدم «راسل» العبارة التالية لتوضيح نظريته: «ملك فرنسا الحالي أصلع»، ثم بدأ تفكيك هذه العبارة التي تبدو بسيطة وواضحة إلى ذراتها المنطقية:

- هناك ملك حالي لفرنسا.
- هناك ملك واحد فقط حالي لفرنسا.
- لم يعد لملك فرنسا الحالي أي شعر في رأسه.

كان «راسل» يعرف أن فرنسا ألغت النظام الملكي لديها في عام 1792، ورغم بعض الفترات التي عاد فيها الحكم الملكي في فرنسا، فإنها كانت في الأساس خاضعة للحكم الجمهوري منذ عام 1870، لذا يمكن اعتبار الفرضية الأولى خاطئة؛ لأنه ليس هناك «ملك حالي لفرنسا»، ومن ثم فإن الفرضية الثانية خاطئة أيضًا. كذلك بالنظر إلى كامل العبارة «ملك فرنسا الحالي أصلع» رغم عدم صحتها، لا يمكن اعتبارها *خاطئة* تمامًا بالمعنى التقليدي؛ لأن العكس («ملك فرنسا الحالي لديه شعر») غير صحيحة أيضًا؛ هذا لأن العكس يصر على فرضية وجود «ملك حالي لفرنسا»، بينما لا يوجد ملك حالي لها!

إذن فإن المشكلة الفلسفية هي كالآتي: إذا كانت هذه الجملة ليست صحيحة ولا خاطئة، فهل تحتوي في الحقيقة على أي معنى على الإطلاق؟ يطرح «راسل»، من خلال تطبيقه نظرية الذرية المنطقية، سؤالًا أكثر عمقًا؛ وهو: كيف يمكن وصف الأشياء غير الموجودة بحيث يتم إضفاء معنى عليها في ظل وجود المفاهيم التقليدية التي تبرهن على مدى صحة وصدق الأشياء مدعومة بفرضيات معقدة وغامضة؟

كان «راسل» يعتقد أن الاستخدام اليومي الشائع للغة لم يكن قادرًا على تمثيل الحقيقة بدقة؛ نظرًا لقدرتها على أن تكون مضللة ومليئة بالتغيرات، ومن ثم فإن القضية الأساسية في البحث الفلسفي هي التخلص من الأخطاء والفرضيات، ووضع منهجية رسمية خالصة تستند إلى المنطق الرياضي الدقيق. ومن أجل تحقيق هذه

الغاية، ذكرت نظرية «راسل» عملية لفهم العبارات من خلال تحديد أوصاف معينة.

يتم تعريف الوصف المحدد على أنه كلمات أو أسماء أو عبارات تدل على كيانات أو أشخاص معينين مثل «منضدة» و «أدولف هتلر» و«أمريكا». قال «راسل» إن المعنى (أو القيمة الدلالية) للأسماء تكون مطابقة للأوصاف المرتبطة بها من قِبل المتحدثين، لكن الأوصاف الملائمة من حيث السياق يمكن استبدالها بالاسم. ومع ذلك أكد «راسل» أن التعبيرات المرجعية المباشرة فقط هي ما سماه «الأسماء الملائمة منطقيًّا» مثل «أنا» و«الآن» و«هنا». وصف «راسل» أسماء الأعلام للأشخاص أو الأشياء، على سبيل المثال «لندن» أو «ديفيد» أو «طائرة مروحية»، بأنها «أوصاف محددة مختصرة»، بينما يعمل الاسم كبديل لوصف أكثر تفصيلًا لماهية الشخص أو المكان أو الشيء، ورغم ذلك فإن «الأوصاف المحددة المختصرة» ليست ذات معنى بمعزل عن غيرها، حيث لا يمكن اعتبارها مرجعية بشكل مباشر.

ابتكر «راسل» نظرية الأوصاف الخاصة به كوسيلة لمعالجة المشكلات التي تطرحها جمل مثل «ملك فرنسا الحالي أصلع»؛ أي العبارات التي يكون فيها الموصوف الذي يشير إليه الوصف المحدد، غامضًا أو غير موجود، وقد وصف مثل هذه التعبيرات بـ «الرموز غير المكتملة». تستهدف طريقة «راسل» التي تقوم على تفكيك الجمل إلى ذراتها المنطقية، توضيح كيف يمكن إخفاء حقيقة وصحة بعض العبارات من خلال الصياغة النحوية. كان مخطط «راسل» هو توفير

مجموعة أدوات يمكن أن تمكّن الفلاسفة وعلماء اللغة من الكشف عن التراكيب المنطقية المخبّأة في اللغة اليومية؛ من أجل تجنب الغموض والتناقض عند صياغة الحجج والافتراضات.

«جاك دريدا»: الكشف عن حقيقة المعنى

وُلد الفيلسوف الفرنسي «جاك دريدا» (1930 - 2004) لعائلة من الأقليات المضطهَدة، في مدينة الأبيار الجزائرية. تعطّل تعليم «دريدا» في المراحل الدراسية المبكرة بسبب أوامر الحكومة الفرنسية، التي كانت تمنع أطفال الأقليات المضطهَدة من التعليم الحكومي الرسمي. وفي سن العاشرة أخبره أحد أساتذته بأن «الثقافة الفرنسية ليست مخصصة للأطفال من عِرقه»، فُصل «دريدا»، وأُرسل إلى مدرسة محلية تابعة للأقلية التي ينتمي إليها، لكنه كان نادرًا ما يذهب إلى المدرسة، وكان يقضي معظم وقته في القراءة ولعب كرة القدم، فقد كان يطمح لأن يكون لاعب كرة قدم محترفًا. وخلال هذه الفترة، أصبح لديه شغف كبير بدراسة فلسفة «روسو» و«نيتشه». وفي سن التاسعة عشرة ذهب إلى باريس لدراسة الفلسفة في *المدرسة العليا للأساتذة* وهي مدرسة مرموقة، وحصل على درجة الماجستير عام 1954، وقام بتدريس الفلسفة في عدد من الجامعات البارزة في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك جامعة السوربون في باريس، وجامعتا ييل وجون هوبكنز في الولايات

المتحدة، ونشر ثلاثة كتب رائدة 1967 هي: *Writing and Difference*، *Speech and Phenomena*، و*Of Grammatology*. وقد شكلت هذه الكتب حجر الأساس لفلسفة اللغة لدى «دريدا»، وحددت ملامح طريقته التحليلية المعروفة بـ «التفكيكية».

كانت نظرية «دريدا» الرئيسية عبارة عن رفض كامل لوجهة النظر البنيوية للغة، التي قدّمها «سوسيير»:

- تمحورت وجهة نظره حول ميل الأشخاص إلى التفكير على أساس المتعارضات.

- كان «سوسيير» يرى أن التعارض الثنائي هو «الوسيلة التي من خلالها يكون للوحدات اللغوية قيمة أو معنى؛ حيث يتم تعريف كل وحدة من خلال تعارضها مع الأخرى. ومع هذا التصنيف يتم الربط بين المصطلحات والمفاهيم بشكل إيجابي أو سلبي. ويشمل هذا الاقتران العقل والعاطفة، الرجل والمرأة، الداخل والخارج، الحضور والغياب، الكلام والكتابة... إلخ.

- لكن «دريدا» قال إن هذه المتعارضات كانت عشوائية وغير ثابتة بطبيعتها. أو بعبارة أخرى، لماذا يكون أحد الطرفين المتعارضين هو الإيجابي، والآخر هو السلبي، وليس العكس؟

- علاوة على ذلك كان يعتقد أنه من خلال «تفكيك» هذه المتعارضات، تبدأ التراكيب نفسها الاندماج والتداخل والتعارض، ثم تشرع في تفكيك نفسها في نطاق النص.

- لذا ترفض التفكيكية التعارض الثنائي على أساس أن مثل هذه المتعارضات دائمًا ما تفضل مصطلحًا على الآخر. من منظور «سوسيير»، كان «المدلول» (المعنى) يسيطر على «الدال» (الإشارة أو الرمز)، أما في النظرية التفكيكية لدى «دريدا»، فكان الفصل بين الرمز والمعنى غير واضح.

استخدم «دريدا» مصطلح «مركزية اللغة» لوصف ما يراه عيبًا واسع الانتشار في الفلسفة الغربية، وهو أن الكلام، وليس الكتابة، أمر أساسي في اللغة، وتنص مركزية اللغة على ما يلي:

- الكلام هو الدال الأصلي (الإشارة) على المعنى، والكلمة المكتوبة مشتقة من الكلمة المنطوقة.

- ومن ثم فإن الكلمة المكتوبة تمثيل للكلمة المنطوقة.

- تنشأ اللغة كعملية فكرية تنتج بدورها الكلام، ثم ينتج هذا الكلام الكتابة.

- مركزية اللغة نفسها هي طبيعة النصوص والأفكار وطرق العرض وأنظمة الدلالة التي تشكل حاجة للسيطرة المباشرة على المعنى والوجود والفهم.

إن النظرية التفكيكية لدى «دريدا» هي إستراتيجية لطرح الأسئلة النقدية الموجهة نحو الكشف عن الفرضيات الميتافيزيقية والتناقضات الداخلية التي لا تقبل الجدال كما يبدو، والتي تميز اللغة الفلسفية والأدبية. وتتعلق هذه النظرية بـ «ممارسة» قراءة النصوص من خلال «إلغاء التمركز» أو البحث عما هو مفقود أو غير موجود، كما هي الحال بالنسبة لما هو واضح وبديهي. ومن خلال رفض مفاهيم مثل «التحليل» و«التفسير»، تهدف التفكيكية إلى كشف عدم الاستقرار المتأصل في المعنى في اللغة والفرضيات الكامنة وراء كيفية عمل اللغة في الخطاب.

7

ما أنت بحاجة لمعرفته عن

فلسفة الحب

فلسفة الحب هي مجال من مجالات الفلسفة الاجتماعية التي تدرس مفهوم الحب بأشكاله المختلفة وكيفية تأثيره على العلاقات الإنسانية. من الناحية الفلسفية، كان الحب - منذ زمن الإغريق القدماء - هو الدعامة الأساسية للبحث الفلسفي، ونتجت عنه نظريات مختلفة تتراوح من المفهوم المادي للحب المرتبط ارتباطًا وثيقًا بالرغبات الجسدية الداخلية، إلى المفاهيم الروحية للحب بوصفه يخلق صلة عميقة بين الأفراد والتي تعزز الفضيلة والصداقة والسعادة. غالبًا ما يتم التمييز في الثقافات الدينية بين الحب الدنيوي السائد بين الأشخاص (وبعضهم، وبين الأشياء)، والحب الروحي؛ أي الحب المتسامي وغير المشروط والمتبادل من الله للإنسان ومن الإنسان لله. تطرح فلسفة الحب أسئلة من قبيل:

- ما الحب؟

- ما علاقة الحبيب بالمحبوب؟ وكيف يرتبط الحب بالواجب والمسئولية؟

«سقراط»: وسلم الحب لـ «ديوتيما»

يحدد «سقراط»، في أحد الحوارات الواردة بكتاب *The Symposium* لـ «أفلاطون»، مفهوم الحب من خلال القول بأنه إذا كان الحب ماديًّا، إذن فإنه يتكون من شيء، وإذا كان يتكون من شيء، فهو مرغوب فيه، ومن ثم فهو شيء يمكن امتلاكه. ثم يروي «سقراط» حوارًا له مع إحدى الحكيمات المشهورات وهي «ديوتيما» من مانتينيا، التي يدَّعي أنها خبيرة في أمور الحب.

تقول «ديوتيما» (التي يعني اسمها المرأة التي يبجّلها ويحترمها «زيوس») إن الحب، في شكله الأولي، هو الرغبة في الأشياء الجميلة والحسنة بشكل استثنائي، ولا سيما الحكمة، التي تجمع بين هاتين الصفتين. تضيف «ديوتيما» أنه يجب عدم الخلط بين الحب وموضع الحب - الذي على عكس «إيروس» (وهو رمز الحب والرغبة الحسية) - في غاية الجمال والحسن. اعتقد الإغريق أن «إيروس» هو الحب البشري الدافع للروح، ورغم أن هذه كانت فكرة سائدة، فإن هذا لا يعد حبًّا، ولكنه رغبة سطحية في امتلاك الشيء أو الشخص موضع العاطفة. وفي جزء شهير من الحوار تقول «ديوتيما» إن رمز الحب ينبغي ألا يكون له هذا المعنى، بل إن «إيروس» هو «في الحقيقة

وليد الفقر ورمز لسعة الحيلة، الذي دائمًا ما يكون محتاجًا، لكنه دائمًا ما يكون مبدعًا».

ثم تُوجه «ديوتيما» «سقراط» إلى كيفية صعود (سلم الحب):

- الخطوة الأولى هي تقدير شخص جميل ومثالي، والرغبة في امتلاكه.

- الخطوة الثانية: وتمثل الانتقال من حب الشكل الخارجي لشخص ما إلى التعرف على الصفات التي يشترك فيها مع أشخاص رائعين آخرين، ومن ثم تجد من الحماقة أن الشكل الخارجي الجميل، وهذا الإدراك يؤدي إلى الدرجة التالية من السلم.

- من خلال تقدير جمال الشخص ككل، يتعلم المرء أن جمال الروح أعظم من جمال الجسد، ويتعلم بدوره حب أولئك الذين يتمتعون بجمال الروح، بغض النظر عما إذا كانوا يتمتعون بشكل خارجي جميل أم لا.

- إن إدراك أن المرء قد تَجاوز الحب المادي يؤدي إلى فهم الجمال الذي يكمن في جوانب أخرى، وأن الممارسات والعادات والأشكال المختلفة للمعرفة يجمع بينها أيضًا جمال مشترك. إن إتقان هذه الدرجة التالية من السلم

يسمح للمرء بفهم الجمال والشعور به في حد ذاته، بدلًا من الأشكال السطحية المختلفة منه.

- ببساطة، يعد سلم «ديوتيما» للحب رحلة لتحقيق الذات، والتي تتضمن تجاوز المظاهر المختلفة لفضيلة الجمال واستبدالها بالفضيلة نفسها، فهو يوضح أن الوجهة النهائية في رحلة الحب والحياة تتمثل في الوصول إلى خلود الروح وتوقير الرموز الدينية المقدسة.

يقدم «أرسطو»، في كتابه *Nicomachean Ethic* (نحو 350 قبل الميلاد)، مفهوم الحب الذي يتمحور حول فضائل الصداقة والولاء، والذي يطلق عليه «*فيليا*» التي تعني الصداقة الحميمة. يرى «أرسطو» أن السعي من أجل تحقيق *يودايمونيا* أي (السعادة أو الحياة السعيدة أو المُرضية) ينطوي على إعمال العقل؛ لأن القدرة على التفكير العقلاني هي السمة المميزة للبشر، ومن ثم يمكننا القول بأن السمات المميزة للبشر لا تتمثل فحسب في القدرة على التفكير العقلاني، ولكن أيضًا في القدرة على تكوين علاقات هادفة يغلّفها الحب والمودة.

كان «أرسطو» يرى أن *فيليا* تتمثل في الحب الموجَّه نحو العائلات والأصدقاء والمجتمعات من خلال ممارسة الفضائل مثل المساواة ورحابة الصدر واللطف. يقول «أرسطو» إنه يمكن ممارسة المحبة أيضًا بالمعنى التجريدي والعاطفي لوصف كيف يمكن استكشاف

الحب من خلال التجربة والمشاعر التي يثيرها جمال الفن والشعر والموسيقى أو حب الطبيعة. يوفق «أفلاطون» بين هذه المواقف من خلال دمج الرغبة (إيروس)، والصداقة (*فيليا*)، والفلسفة (حب الحكمة) في تجربة واحدة كاملة تسمو فوق الوجود البشري وتحوله، وتربطه بالحقائق الشاملة (المفهوم اليوناني *للمحبة* أو الحب الروحي). يرى «أفلاطون» أن الحقيقة والأصالة لهما قيمة أعلى من أي من العقل أو الحب، واللذين يهدفان إليهما، وأنهما ذوا قيمة أعلى حتى من السعادة التي هي مجرد مظهر من مظاهر وجودهما.

ما الحب الأفلاطوني؟

كما يَعلم معظم الناس، فإن الحب الأفلاطوني يتسم بأنه علاقة عاطفية، بل حميمة، لكنها تتجاوز غرض المتعة الجسدية. أما ما لا يعرفه الكثيرون فهو أن هذا التعريف يعود إلى "أفلاطون" ونظرية "الأشكال" الخاصة به. يزعم "أفلاطون" أنه بخلاف الرغبة في المتعة الجسدية التي تتواجد باستمرار في العالم المادي وتتطلب إشباعًا فوريًّا، يكمن الشكل المثالي للجمال الذي يطمح إليه الحب الحقيقي وهو: الحب الأفلاطوني.

«جان بول سارتر»: الحب بوصفه صراعًا ونزاعًا

كان «سارتر» (1905 - 1980) يؤيد بشدة مذهب الوجودية الفلسفي، كما يتجلى في العديد من أعماله الأدبية التي تضمنت مقالات نقدية وروايات ومسرحيات. وما يعد سمة محورية في تفكيره هو وجهة النظر القائلة بأن الناس ليس لديهم «جوهر» أساسي، وكذلك الحياة البشرية. في مقالته الشهيرة *(Existentialism and Humanism 1946)*، كتب «سارتر» قائلًا: ماذا نعني بالقول إن الوجود يسبق الجوهر؟ نعني أن الإنسان يوجد أولًا، ويواجه نفسه، وينخرط في العالم، ثم يعرّف نفسه. إذا كان الإنسان، كما يراه الوجودي، غير قابل للتعريف؛ فذلك لأنه في البداية كان لا شيء».

كما يقول «سارتر» أيضًا:

- عندما يحلل البشر كينونتهم، فإنهم يكتشفون أنه لا يوجد *أي شيء* في قلبها.

- ورغم ذلك فإن هذا «اللاشيء» نعمة ونقمة في الوقت نفسه.

- من ناحية، يتمتع البشر بحرية في تكوين «أنفسهم» وعيش الحياة التي يرغبون فيها. ومن ناحية أخرى يكون لهذه الحرية ثمن؛ لأنه لا يوجد ما يمنعنا من أن نكون أحرارًا.

لذلك يؤكد «سارتر»، في كتابه *Being and Nothingness* 1943، أن «الإنسان، الذي يُمنح الحرية، يشعر بأنه يحمل عبئًا كبيرًا على عاتقه، حيث يكون مسئولًا عن العالم وعن نفسه خلال تواجده في هذه الحياة». رغم أننا كائنات فردية واعية، فإننا نحتاج إلى إدراك الآخرين لوجودنا وتقديرهم لجوهرنا «لنشعر بوجودنا الحقيقي». باختصار، لكي نكوّن أنفسنا ونشعر بالاكتمال، يجب أن نضم «اللاشيء» الخاص بنا إلى «كيان» شخص آخر.

وفيما يتعلق بالعلاقات الإنسانية، يطرح «سارتر» مشكلة كيفية قيام الأشخاص بالتوفيق بين حريتهم وتقرير مصيرهم، والحاجة لأن يكون المرء مرغوبًا فيه من قبل شخص «آخر» من أجل تقدير حقيقة وجوده. ها هي ذي الحجة: مكتبة سُر مَن قرأ

- فيما يتعلق بالحب، فإن الفرد الذي يبحث عن الحب يتمنى أن يحبه شخص اختار أن يحبه بمطلق حريته.

- يذكر «سارتر» أسطورة «تريستان» و«إيزولد» - اللذين يكتسبان الحب الأبدي عن طريق تناول جرعة حب - كمثال للحب الزائف؛ لأنهما لم يرتبطا ببعضهما بوعي أو بحريّة.

- ومع ذلك تكمن المشكلة في محاولة تحويل الوعي الحر للآخرين إلى شيء؛ وهو أمر مستحيل، فلا يمكننا أن نمتلك الأشخاص بالطريقة التي نمتلك بها الأشياء؛ لأن الأشياء لا يمكنها أن ترد بالمِثل على هذا الامتلاك.

يمكن للأشخاص محاولة جعل الآخرين معتمدين عليهم عاطفيًّا أو ماديًّا، لكن لا يمكنهم أبدًا امتلاك وعي الآخر أو مشاعره.

- أفضل طريقة يمكن للبشرية تحقيق السعادة أو النجاح من خلالها هي الاعتراف بحرية الآخر والسماح له بممارستها، رغم الرغبة الطبيعية في «امتلاكهم».

يسعى البشر حتمًا لامتلاك الحرية الواعية لأحبائهم؛ في محاولةٍ منهم لامتلاك شخص ما وكأنه شيء يمكن امتلاكه. يقول «سارتر»: «يريد المحب أن يكون هو 'العالم بأَسْره' للمحبوب». يجب أن يصبح المحب هو «الأرض» للمحبوب، وأن يمثل له الحد الأقصى للحرية، وأن يتمنى له أن يختار بحرية عدم التفكير في أو رؤية أي شخص غيره. يكتب «سارتر» على لسان المحب قائلًا: «يجب ألا يُنظر إليَّ بعد الآن في هذا العالم على أنني «شيء» من بين «الأشياء»، بل يجب أن يُرى العالم بأسره من خلالي».

ويقول «سارتر» إنه من المفارقة أن يتخلى المحب عن حريته أثناء رغبته في امتلاك حرية المحبوب؛ وذلك من خلال المطالبة بأن يكون هو مركز حياة المحبوب. وفي هذه المرحلة يظهر المأزق الحقيقي له؛ وهو تجرده من حريته الأساسية، نظرًا لاعتماده على المحبوب. يقول «سارتر»: «إن الشخص الذي يرغب في أن يكون محبوبًا هو من يتخلى عن حريته في سبيل رغبته بأن يحبه شخص ما».

يرى «سارتر» أن قوة العلاقات الرومانسية تكمن في اندماج حالة شخص ما من اللاشيء مع كيان آخر. ورغم أن البشر يحتاجون إلى تأكيد «الآخر» لـ «جوهرهم» (وإلا فإنهم يشعرون بأنهم لا شيء)، فإنهم يشعرون دائمًا بعدم الأمان في الحب؛ لأنه في أية لحظة يمكن أن يصبحوا مجرد «شيء» واحد من بين العديد من «الأشياء»، بدلًا من أن يكونوا مركز حياة مَن يحبون.

لذا يصبح الحب مسألة صراع ونزاع من خلال عدم القدرة على امتلاك شعور الآخر حقًّا. يقول «سارتر» إن المحب يشعر بالحاجة لأن يبادله مَن يحب مشاعرَ الحب، ولكن من خلال القيام بذلك يمكنه أن يحول نفسه من شخص حر إلى مجرد شيء، من خلال الامتثال والإذعان، ومن خلال التقيد بتوقعات مَن يحب. وهذا، كما يقول «سارتر»، أقرب إلى أن يكون شكلًا من أشكال المازوخية؛ أي التلذذ بالألم. بدلًا من ذلك، يمكن للمحب أن يسعى للسيطرة على من يحب من خلال الحد من حريته وجوهره، ومن ثم إخضاعه، والذي يرى «سارتر» أنها شكل من أشكال الساديّة.

إن الصراع بين الموضوعية والذاتية هو الذي يكمن في قلب كل النزاعات والقضايا العالقة في الحب، فالعلاقات معركة مستمرة بين المحبّين الذين يحتاجون لإدراك حرية بعضهم، ورغبتهم في امتلاك بعضهم باعتبارهم أشياء، فإذا انتزعنا حرية الشخص الآخر، فإنه لن يعدّ جذابًا، وسيصبح الحب «غير حقيقي»، فإذا لم يكونوا بشكل أو بآخر مجرد أشياء، فلن يكون من الممكن امتلاكهم. الحل الوحيد لدى «سارتر» يتمثل في الاعتراف بحرية الشخص الآخر وتقبُّله، فهذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكننا من خلالها «امتلاكهم».

آراء «نيتشه» في الحب والمرأة

وُلد «فريدريش فيلهلم نيتشه» في قرية روكن، بالقرب من مدينة لايبتسيج في بروسيا. كان والده رجل دين تُوفي فجأة إثر ورم في المخ عندما كان «نيتشه» يبلغ من العمر خمس سنوات، فتركه هو وأخته الصغرى لتشترك في تربيتهما كل من أمهما وجدّتهما وعمّتيهما غير المتزوجتين. وقد اعتقد المفكرون أن مواقف «نيتشه» المعقدة والمتناقضة في كثير من الأحيان تجاه المرأة قد تأثرت بتلك البيئة التي نشأ فيها والتي كانت النساء تغلب عليها.

في عمله 1878 *Human, All Too Human*، يعرض «نيتشه» استكشافاته الفلسفية فيما يتعلق بحياة الإنسان والعلاقات من خلال سلسلة من الحِكم - عبارات وملاحظات قصيرة وصريحة، وصار هذا سمة الأسلوب المتبَع في كتاباته. كان كتابه *Human, All Too Human* يضم أكثر من 680 حكمة، مقسمة إلى تسعة أقسام ذات موضوعات متنوعة تتراوح من الميتافيزيقيا إلى الأخلاق والدين، ومن الصداقة إلى الدراسات الجنسانية. يقول «نيتشه»، في أحد أقسام الكتاب والذي يحمل عنوان «المرأة والطفل»: «المرأة المثالية هي مِن فئة أسمى من الرجل المثالي، وهي أيضًا شيء أكثر ندرة بكثير. كما يقدم علم الحيوانات الطبيعي وسيلة لإثبات احتمالية هذا المبدأ»، هذه فكرة عجيبة وقد أربكت الباحثين النسويين، حيث يبدو أن «نيتشه» يقول إن النساء هنّ الأعلى منزلة؛ نظرًا لقدرتهن على الإنجاب.

هل تفعل ما تنصح الآخرين به؟

كان «جان بول سارتر» يفعل ما ينصح الآخرين به عندما يتعلق الأمر بالعلاقات، فبعد أن التقى الكاتبة «سيمون دي بوفوار» (1908 ـ 1966) في عام 1929، أُعجب كل منهما بالآخر، وتزوجا، وانفصلا، ثم تزوجا مجددًا ودامت زيجتهما حتى وفاة «سارتر» عام 1980. ورغم كونهما أحد أشهر «الأزواج الأدبيين» في القرن العشرين، فإنهما لم ينجبا أطفالًا. كان هذا تمردًا جزئيًّا ضد القيم البورجوازية التي تربّيا عليها، لكنه كان أيضًا التزامًا بعدم تقييد قدرتهما على الحرية والتجربة بقيود زائفة. ثم انفصلا، وارتبط كل منهما من شخص آخر، قبل أن يعودا إلى بعضهما مجددًا، فقد تمّت خطبة «دي بوفوار» للروائي الأمريكي «نيلسون ألجرين»، لكن «دي بوفوار» كانت تلقبه في خطاباتها إليه بـ «زوجي الحبيب». ومع أن كلًّا منهما كان يعيش بعيدًا عن الآخر، فقد حرص الكاتبان الفرنسيان «جان بول سارتر» و«سيمون دي بوفوار» على الالتقاء بشكل يومي تقريبًا عندما يكونان في باريس، ويشربان القهوة معًا، ويقرّان أعمال بعضهما ويشجع كل منهما الآخر، وكان هذا نموذجًا للاعتراف بحرية كل من الطرفين في العلاقة.

فيما يتعلق بعلم نفس المرأة وتربية الأطفال، يقترح «نيتشه» في الحكمة رقم 387 أن «بعض الأمهات يحتجن إلى أطفال سعداء ومحترمين، بينما يحتاج بعضهن إلى أطفال غير سعداء، وإلا فلن يتمكنّ من إثبات طيبتهنّ كأمهات». يظهر في هذه المقولة حب «نيتشه» للمعارضات والتناقضات. من البديهي - ومن المنظور الأخلاقي - أن جميع الآباء يتمنّون الأفضل لأطفالهم ويتوقون إلى الافتخار بإنجازاتهم وسعادتهم، ورغم ذلك يكشف «نيتشه» التناقض في استخدامه الماكر لكلمة «يحتجن» فيما يتعلق بالأمهات، فهل تسعى النساء حقًّا إلى إثبات جدارتهن من خلال أطفالهن؟ فحاجة الأم لأن يكون طفلها مريضًا من أجل إثبات أنها أمٌّ صالحة أمر شبيه بالاضطراب النفسي المعروف باسم «متلازمة مانشهاوزن بالوكالة»؛ حيث يتآمر الآباء عن عمد لإصابة أطفالهم بالمرض حتى يحتاجوا إلى رعايتهم واهتمامهم.

يمكننا أن نجد المزيد من الآراء المعادية للأم ووصفها بالغيرة، في الحكمة التي يقول فيها «نيتشه»: «إن الأمهات يشعرن بالغيرة بسهولة من أصدقاء أبنائهن إذا كانوا ناجحين كثيرًا. عادةً ما تحب الأم *نفسها* في أبنائها أكثر مما تحب أبناءها أنفسهم»؛ لذا يصبح من الصعب في الواقع أن نرى كيف يقوم «نيتشه» بصياغة حجة مترابطة عن «المرأة المثالية» باعتبارها «من فئة أسمى»، ما لم يُشِر إلى الأخطاء التي تنفي هذه المثالية وتجعلها «أكثر ندرة بكثير».

هل كان «نيتشه» غير موفق في الحب؟

كان موضوع حياة «نيتشه» الشخصية محل خلاف بين الفلاسفة المعاصرين، فقد تكاثرت الأقاويل في هذا الشأن، منهم من يقول إن «نيتشه» كان يعيش أعزب بائسًا، ومنهم من يقول إنه كانت له ميول غير سوية. كان يُعتقد لسنوات عديدة أن إصابة «نيتشه» بأحد الأمراض العقلية قبل وفاته كانت نتيجة إصابته بأحد الأمراض المعدية. لقد شكك المفكرون المعاصرون في هذا القول إلى حد كبير، وقالوا إنه يتضح من خلال صراع «نيتشه» المتكرر مع المرض أنه كان يعاني أعراض اضطراب الهوس الاكتئابي، ورجّحوا ذلك إلى حد كبير، لكن «نيتشه» صار مفتونًا بـ «لو أندرياس سالومي» (1861 ـ 1937) وهي الكاتبة والمحللة النفسية وتلميذة «سيجموند فرويد»، وقد طلب منها الزواج في ثلاث مناسبات منفصلة، لكنها كانت ترفض طلبه بشكل قاطع في كل مرة.

أما فيما يتعلق بموضوع العلاقة بين الرجل والمرأة، فيبدو أن «نيتشه» كان يتخذ نهجًا عمليًّا، حيث يقول: «على الأرجح سيحصل أفضل صديق على أفضل زوجة؛ لأن الزواج الجيد يقوم على موهبة

إقامة صداقة». كان «نيتشه» يرى أن الصداقة ومشاركة الخبرات بين الزوجين تلغي الحاجة للانجذاب الجسدي أو الافتتان الرومانسي، بل إنه في مرحلة ما ذهب إلى أبعد من ذلك وقال إن العلاقات بين الذكور والإناث تنجح عندما يقلّ الانجذاب الجسدي أو يكون غائبًا: «يمكن للمرأة أن تجمعها علاقة صداقة مع الرجل، ولكن للحفاظ على شكل تلك العلاقة، لا بد من وجود بعض النفور بينهما».

في النهاية نجد أن وجهة نظر «نيتشه» عن الزواج هي أنه محكوم عليه بالفشل إذا غلّفته المشاعر الرومانسية. يقول «نيتشه»: «الزيجات التي تقوم على الحب (ما يسمى الزواج عن حب) يكون أبوها الخطأ، وأمها الضرورة أو (الحاجة)». يوضح هذا القولُ المأثور حجم التناقضات والمعارضات الداخلية في العديد من تصريحات «نيتشه»، حيث إن كلمة «الضرورة» الواردة في هذا القول تعني في اللغة الألمانية - وهي اللغة الأصلية للنص - «*(die Not das Bedürfnis)*». وتعني كلمة «*die Not*» إشباع حاجة أو رغبة، بينما تستخدم كلمة «*Not*» غالبًا لوصف موقف مؤلم وبائس. وكما هي الحال في الكثير من كتابات «نيتشه»، فإن التفسير الحرفي يمثل إشكالية، فهل يقصد «نيتشه» في مثال الزواج - السابق - أن النساء اللاتي يتزوجن من أجل الحب يشبعن رغبة مُلحّة أم يعشن وضعًا مؤلمًا أو بائسًا؟!

8

ما أنت بحاجة لمعرفته عن

فلسفة المستقبل

يمكن تقسيم الفلسفة الحديثة في القرن الحادي والعشرين إلى ثلاثة مجالات؛ الأول هو الفلسفة الأكاديمية. ونظرًا لاعتبار الفلسفة تخصصًا أكاديميًّا، فغالبًا ما تُتهم بأنها مُفرطة في المرجعية الذاتية، وهذا أمر مؤسف؛ حيث يجب الاعتزاز بحب الحكمة والحفاظ عليها، إلى جانب الحق في طرح أسئلة تخص العالم من حولنا، وهما شيئان يكمنان في صميم الفلسفة.

والثاني يتعلق بأشكال الاتصال ووسائل الإعلام، التي يمكن أن يطلَق عليها بشكل عام «فلسفة الشارع». فمع التطورات السريعة في تكنولوجيا المعلومات توجد مجالات جديدة، حيث يمكن أن تنتشر المعلومات بسرعة في جميع أنحاء العالم؛ ففي عالم اليوم، الزاخر بالمعلومات الدعائية المبهمة؛ والتي غالبًا لا يكون لها أي معنى، ويتم

توصيلها على الفور بضغطة زر، تظل هناك حاجة ماسّة ومستمرة للتفكير الدقيق والمنضبط وإلى اللغة الدقيقة كذلك. بالتأكيد التقنيات الحديثة، بمزاياها وعيوبها، سلطت المزيد من الضوء على الأسئلة التقليدية التي تدور حول الحرية وطبيعة المجتمع الصالح، وهي الاهتمامات الأساسية للفلسفة منذ زمن الإغريق القدماء، لكن التقدم التكنولوجي يثير مخاوف في ذلك المجتمع المحاصَر بوسائل المراقبة الحديثة، فهناك بحث مستمر عن البيانات، وتحديد السمات الشخصية وانتشار كاميرات المراقبة العامة في كل مكان. ما تداعيات هذه العوامل على مفاهيم الخصوصية الشخصية والحرية؟

أما المجال الثالث؛ ولعله الأكثر أهمية، اليوم، فهو يشمل العلوم الطبيعية والاجتماعية (أي السياسة والاقتصاد)، ويمثل الاحتباس الحراري العالمي مخاطر جسيمة على مستقبل الجنس البشري واستدامة الحياة على كوكب الأرض، وقد أدى ذلك إلى ظهور أشكال متباينة من فلسفة البيئة التي تتناول المشكلات المُلحّة التي تتعلق بتوزيع موارد العالم، وطبيعة العدالة في المجتمع العالمي. كما تم التشكيك في علم الاجتماع الاقتصادي، وعلى وجه التحديد قدرة السوق الحرة على خلق اقتصاد مناسب لغالبية الأشخاص، في ظل الركود العالمي المستمر، بينما تساءل بعض الاقتصاديين والفلاسفة المعاصرين عما إذا كان النظام الذي يثري قلة من الأشخاص على حساب الكثيرين، يجب أن يخضع لتدخُّلٍ أكبر من الدولة، في حين دافع آخرون عن هذا النظام.

(1) الفلسفة والشعبوية

يرى البعض أن الظهور الأخير لما يسمى «الشعبوية» يمثل رد فعل عنيفًا ضد العولمة والرأسمالية الليبرالية؛ حيث تطرح في الواقع بعض الأسئلة الفلسفية المثيرة للاهتمام، ويبدو أنها تستمد قوتها من الغضب الانفعالي، والاقتباسات، والشعارات التي لا تخضع للفحص الدقيق، والآراء التي يتم تقديمها كحقيقة، أي أنها شكل من أشكال الذاتية المتطرفة.

(2) الهجرة الجماعية

يتساءل بعض المنظّرين السياسيين أيضًا عما إذا كان التدخل العسكري للإطاحة بالأنظمة الديكتاتورية، أو كما يزعمون في كثير من الأحيان لحماية الموارد المعدنية الثمينة - أمرًا مرغوبًا فيه وفعالًا؛ حيث يبدو أنه يؤدي إلى الاحتلال العسكري المدمر، كما يؤثر في الاقتصادات المحلية وجودة الحياة. وقد أثّرت هذه التدخلات السياسية والعسكرية والاقتصادية في حياة البشر، وأدّت بشكل مباشر إلى الهجرة الجماعية؛ وهي قضية أثيرة للعديد من السياسيين الشعبويين وتنطوي على مخاوف أخلاقية وفلسفية عميقة. وبالمثل فإن ظهور بعض التيارات الدينية المتشددة وتداعياتها على حرية التعبير والتسامح والقيم الديمقراطية الليبرالية الأخرى هو أيضًا مصدر للجدل الفلسفي المعاصر المستمر.

(3) الرعاية الصحية

هناك قضية أخرى في فلسفة المستقبل تتعلق بالرعاية الصحية، فقد شهدت الدول الديمقراطية الغربية ارتفاع متوسط العمر الافتراضي بشكل مطّرد منذ منتصف القرن العشرين، الأمر الذي يطرح أسئلة حول التعامل مع جماهير من كبار السن: ما مدى استدامة توفر الموارد الحالية، وما الواجبات الأخلاقية التي ينطوي عليها ذلك الأمر. يلعب العلم والطب دورًا في الجدال المحتدم والمستمر حول الصحة، كما أن هناك معضلات أخرى تتعلق بالقتل الرحيم والحق في الموت، والقضايا الأخلاقية البيولوجية التي نتجت عن التقدم العلمي في أبحاث الجينوم والتطورات الطبية الأخرى. وقد قُوبلت إمكانية تكوين أعضاء بشرية احتياطية عن طريق «جمع» الخلايا الجذعية من الأجنّة المستنسَخة التي يتم تدميرها لاحقًا - بمعارضة الأطراف التي شددت على «قدسية الحياة»، ودافع عنها آخرون ممن يشددون على الفوائد التي تعود على العلوم الطبية والمجتمع الأوسع نتيجة لذلك. يمكن أن يصبح مجال الأخلاقيات البيولوجية مهمًّا جدًّا للنقاش الفلسفي المستقبلي؛ لأن القدرة على الاستنساخ بنجاح والتلاعب بالجينوم البشري في تقدم مستمر.

وفي الختام...

تُواجه فلسفة المستقبل العديد من التحديات، بدءًا من تأثير التكنولوجيا على الأفراد والمجتمعات، والمحافظة البيئية على كوكب الأرض واستدامة الموارد، وعدم استقرار الاقتصاد العالمي، إلى التطورات المستقبلية في العلوم والطب. لا توفر الفلسفة إطارًا لإيجاد حلول سهلة للمشكلات التي تواجه العالم الحديث، ولكن ما توفره هو أدوات يمكننا من خلالها التفكير وإصدار أحكامنا الخاصة، ومن ثم إذا لم يتمكن الأشخاص من تقييم العالم وتفسير ما يحدث فيه، فلن يكون هناك أمل كبير في تغييره للأفضل من أجل مصلحة الجميع. يحدث التغيير عندما تظهر المفاهيم والنظريات والنماذج الجديدة وتتحدى أفكار وممارسات الماضي.

لكي تظل الفلسفة مواكِبة لتطورات العصر الحديث ولا تصبح كمًّا مهملاً من المراجع القديمة على أرفف المكتبات، يجب عليها أن تستعيد مكانتها الأصلية في المجال العام، مثلما كانت في سوق أثينا القديمة، حيث كان يجتمع فلاسفة ذلك العصر من أجل إقامة حلقات للتباري فيما بينهم والتحدي والنقاش. هناك حاجة لاستيضاح الأفكار المتعلقة بالأشياء المهمة حقًّا، وعدم التشوش بسيل المعلومات التي تحيط بنا. تحتاج الفلسفة إلى الثقة حتى تنخرط في قضايا العصر، لكنها تحتاج أيضًا إلى الحوار؛ إذ لا يمكن أن تقوم الفلسفة بمعزل عن الأحداث الجارية.

الملحق:

مصطلحات فلسفية

فيما يلي تعريفات موجزة للمصطلحات الفلسفية الواردة في هذا الكتاب من أجل الأشخاص المشغولين حقًّا، لكن هناك ملحوظة أود لفت الأنظار إليها؛ وهي أنه رغم كل الجهد المبذول لتقديم تعريفات موجزة ودقيقة للكثير من «المذاهب» و«المعتقدات» التي تشمل دراسة الفلسفة وممارستها، فإن بعض المصطلحات مفتوحة للتفسير والمناقشة؛ ويرجع ذلك جزئيًّا إلى أن بعض الأفكار والمدارس الفكرية كانت سلسة وتطورت وصُقلت بمرور الوقت، ولأن بعض المفاهيم الفلسفية بطبيعتها تقاوم التعريف أو ترفضه.

تبنَّى المفكرون المتعاقبون في تاريخ الفلسفة بعض الأفكار، وأخذوا تلك الأفكار في اتجاهات مختلفة من خلال تطبيقها على العالم كما رأوه في عصرهم، فقد نجد أن مفهوم «أبيقور» عن العواقبية يختلف بشكل ملحوظ عن مفهوم «جيريمي بينثام» و«جون ستيوارت ميل»، مثلما اختلفت الثقافة السائدة والأعراف المجتمعية في اليونان القديمة وأوروبا خلال القرن التاسع عشر، ولكنني آمل أن توفر تعريفات تلك المصطلحات الفلسفية على الأقل دليلًا مفيدًا

عن الموضع الذي يمكنك العثور فيه على مناقشة أكثر تفصيلًا للمفاهيم والأفكار الرئيسية.

المذهب الذري: هو وجهة نظر تقول إن الطبيعة في هذا العالم تتكون من «ذرات» و«فراغ». تتحرك الذرات بحُرّية في الفراغ، وهي إما تجذب وإما تطرد الذرات الأخرى. تتّحد الذرات المنجذبة معًا لتشكيل مجموعة من المواد الطبيعية، وتشكل المجموعاتُ من مختلف الأشكال والترتيبات والمراكز العالم الطبيعي والكون كذلك.
المؤيد الرئيسي: «ديموقريطس» (460-370 قبل الميلاد). انظر الفصل 1 بعنوان فلسفة السعادة.

المذهب التصوري: ينظر فلاسفة المذهب التصوري إلى المفهوم الميتافيزيقي للحقائق المطلقة في هذا العالم، من منظور يدحض وجود ظواهر معينة تتجاوز إدراك العقل لها، ومن ثم فإن الأفكار المجردة قائمة فقط في أذهان الناس.
المؤيدون الرئيسيون: «جوتفريد فيلهلم لابينتس» (1646 - 1716)، و«ديفيد هيوم» (1711 - 1776).

العواقبية: هي نموذج فكري أخلاقي يتمحور حول فكرة أن القيمة الأخلاقية للفعل تتوقف على عواقب الفعل أو النتيجة المترتبة عليه. إن الفعل الصحيح أو السليم من الناحية الأخلاقية في موقف معين هو الذي تنتج عنه نتيجة جيدة، والفعل غير السليم أخلاقيًّا هو الذي تنتج عنه نتائج غير جيدة أو تكون له عواقب سيئة ضمنًا.

المؤيدون الرئيسيون: «أبيقور» (341 - 270 قبل الميلاد)، و«جيريمي بينثام» (1748 - 1832)، و«جون ستيوارت ميل» (1806 - 1873).

التفكيكية: هي منهج نظري لتحليل النصوص كان سائدًا في الستينيات من القرن العشرين. تهدف التفكيكية إلى كشف الآليات الداخلية لكيفية نقل المعنى في اللغة وتلقّيه في أشكال ثقافية مختلفة.
المؤيدون الرئيسيون: «بول دي مان» (1919 - 1983)، و«جاك دريدا» (1930 - 2004). انظر الفصل 6 بعنوان فلسفة اللغة.

الربوبية: نظام إيماني يتمحور حول وجود رب أو خالق موجود في كل مكان، وهو المصدر المطلق للخير والقادر على كل شيء.
المؤيدون الرئيسيون: كان عددهم كبيرًا جدًّا حتى إنه يَصعب سردهم؛ حيث كان للعلوم الدينية تأثير كبير على الفلسفة الغربية. انظر الفصل 5 بعنوان فلسفة الدين.

الأخلاق الواجبة: هي المصطلحات الفلسفية التي تحلل وتقيّم كون الفعل «صوابًا» أو «خطأ»، بغض النظر عن النتائج التاريخية أو المحتملة.
المؤيدون الرئيسيون: «إيمانويل كانت» (1724 - 1804)، وكل الأحداث تقريبًا التي أسهمت في تطور الفلسفة الغربية خلال

القرنين الماضيين. انظر الفصل 2 بعنوان فلسفة الأخلاقيات والآداب.

الحتمية: هي النظرية الفلسفية القائلة بأن جميع الأحداث، بما في ذلك الخيارات الأخلاقية، يتم تحديدها بالكامل من خلال الأسباب الموجودة سابقًا.

المؤيدون الرئيسيون: «زينو» من مدينة كيتيوم بقبرص (262-332 قبل الميلاد)، مؤسس المدرسة الرواقية الهلنستية في الفلسفة اليونانية القديمة وأتباعه.

الانفعالية: مفهوم حديث يستخدم غالبًا في التحليل النفسي، والذي يفترض أن الأحكام التقديرية فيما يتعلق بالأفعال، وخاصة الأحكام الأخلاقية، تنشأ من الاستجابات الانفعالية، ومن ثم فهي ذاتية وغير ممثلة للحقائق.

المؤيدون الرئيسيون: «تشارلز ستيفنسون» (1908 - 1979)، «إيه. جيه. آير» (1910 - 1989).

المذهب التجريبي: هو النظرية القائلة بأن كل المعرفة تستند إلى الخبرة المستمدة من الحواس. كان المذهب التجريبي مدفوعًا بظهور العلوم التجريبية، وتطوَّر خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر.

المؤيدون الرئيسيون: «جون لوك» (1632 - 1704)، «جورج بيركلي» (1685 - 1753)، «ديفيد هيوم» (1711 - 1776).

نظرية المعرفة: دراسة طبيعة وإمكانية المعرفة، وكيفية تحويل ذلك إلى اعتقاد مبرر، ويرتبط جوهريًّا بالمفاهيم، بما في ذلك الحقيقة والإيمان والتصديق.
المؤيدون الرئيسيون: «رينيه ديكارت» (1596 - 1650).

الوجودية: نظرية أو طريقة تحليل فلسفية من القرن العشرين تسلط الضوء على وجود الفرد بصفته كائنًا حرًّا ومسئولاً يصوغ تطوره من خلال إرادته الحرة.
المؤيدون الرئيسيون: «سون كيركيجو» (1813 - 1855)، و«فريدريش فيلهلم نيتشه» (1844 - 1900)، و«جان بول سارتر» (1905 - 1980)، و«ألبير كامو» (1913 - 1960).
انظر الفصل 7 بعنوان فلسفة الحب.

المثالية: أنظمة معينة من الفكر الفلسفي يتم فيها اعتبار موضوعات المعرفة تعتمد بطريقة ما على نشاط العقل.
المؤيدون الرئيسيون: «إيمانويل كانت» (1724 - 1804)، و«آرثر شوبنهاور» (1788 - 1860)، و«فريدريش فيلهلم نيتشه» (1844 - 1900).

الوضعية المنطقية: الحركة الفلسفية التي تأسست على يد مجموعة من المثقفين الذين شكلوا دائرة فيينا عام 1920، والتي عزّزت وجهة النظر القائلة بأن المعرفة العلمية هي النوع الوحيد من

المعرفة المبنية على الحقائق، وأن جميع المذاهب الميتافيزيقية التقليدية يجب رفضها باعتبارها لا معنى لها.

المؤيدون الرئيسيون: «لودفيج فيتجنشتاين» (1889 - 1951)، و«كارل بوبر» (1902 - 1994)، و«إيه. جيه. آير» (1910 - 1989). انظر الفصل 3 بعنوان فلسفة العلوم.

المادية: النظرية القائلة أو اعتقاد أن المادة هي المكون الأساسي للطبيعة وأن كل شيء هو نتاج للتفاعلات المادية.

المؤيدون الرئيسيون: «توماس هوبز» (1588 - 1679)، و«كارل ماركس» (1818 - 1883)، و«جيل دولوز» (1925 - 1995).

ما وراء الفلسفة: البحث في طبيعة الفلسفة.

المؤيدون الرئيسيون: «لودفيج فيتجنشتاين» (1889 - 1951).

الميتافيزيقا: فرع الفلسفة الذي يدرس جوهر الشيء. الكلمة مشتقة من الكلمة اليونانية التي تعني «ما وراء الطبيعة». وتشمل المجالات الرئيسية للبحث الميتافيزيقي أسئلة عن الوجود والكينونة والواقع.

المؤيدون الرئيسيون: عرّف «أرسطو» الميتافيزيقا بأنها «الأسباب الأولى ومبادئ الأشياء»، وبهذا المعنى يعد جميع الفلاسفة، بدءًا من «سقراط» ومَن جاء بعده، بشكل أو بآخر، دعاة للبحث الميتافيزيقي.

الأحادية: هي النظرة الميتافيزيقية والدينية القائلة بأن الكل واحد، وأنه لا توجد انقسامات أساسية، وأن مجموعة موحدة من القوانين تدعم الطبيعة كلها.
المؤيدون الرئيسيون: (من الفلاسفة القدماء) «هيراقليطوس» من مدينة إيفسوس (535 - 475 قبل الميلاد)، و«بارمينيدس» من إيليا (غير معلوم تاريخ ميلاده ووفاته).
(من الفلاسفة المعاصرين) «جوتفريد فيلهلم لايبنتس» (1646 - 1716)، و«جورج فيلهلم هيجل» (1770 - 1831)، و«آرثر شوبنهاور» (1788 - 1860).

المذهب الطبيعي: اعتقاد أنه لا يوجد شيء غير العالم الطبيعي الذي نراه، وإنكار التفسيرات الروحية أو الخارقة للطبيعة، كما تركز على التفسيرات المستمدة من ملاحظات قوانين الطبيعة.
المؤيدون الرئيسيون: «بول كيرتز» (1925 - 2012)، و«روي وود سيلارز» (1880 - 1973).

المذهب الاسمي: وجهة نظر فلسفية في الميتافيزيقا تنكر وجود كائنات عامة مجردة لكنها تؤكد وجود مصطلحات عامة أو مجردة.
المؤيدون الرئيسيون: «وليام الأوكامي» (1285 - 1347)، و«توماس هوبز» (1588 - 1679).

علم الوجود: هو أحد فروع الميتافيزيقيا (انظر المذهب الاسمي) الذي يدرس طبيعة الوجود والمبادئ الأولى، ويكشف جوهر الأشياء الموجودة.

المؤيدون الرئيسيون: «برنارد بولزانو» (1781 - 1848)، و«فرانز برينتانو» (1838 - 1917)، و«جوتلوب فريجه» (1848 - 1925).

الحلولية أو وحدة الوجود: اعتقاد أن الله مالك الكون بأَسْره وأنه لا يحدّه زمان ولا مكان، فالكون هو من صنع الله سبحانه وتعالى.

المؤيدون الرئيسيون: «باروخ سبينوزا» (1632 - 1677).

المنظورية: إنها المذهب الفلسفي الذي ينص على أن منفذنا إلى العالم من خلال الإدراك والخبرة والعقل يكون ممكنًا فقط من خلال منظور المرء وتفسيره؛ لذا نجد هناك العديد من المخططات المفاهيمية، أو وجهات النظر التي يمكن من خلالها الحكم على الحقيقة أو القيمة.

المؤيدون الرئيسيون: «فريدريش فيلهلم نيتشه» (1844 - 1900).

الظاهراتية: وهي مذهب فلسفي ينص على أنه لا يمكن القول بأن الأشياء المادية موجودة بذاتها، لكنها توجد فقط في صورة ظواهر مدرَكة أو بيانات حسية تقع في الزمان والمكان.

المؤيدون الرئيسيون: «جون ستيوارت ميل» (1806 - 1873).

ما بعد الحداثة: حركة فكرية واسعة ظهرت في أواخر القرن العشرين تشمل الفن والأدب والعمارة والفلسفة. وهي نهج قائم على الوعي الذاتي إلى حد كبير يمزج بين الأنواع والأشكال المختلفة. في الفلسفة يرتبط ما بعد الحداثة بما بعد البنيوية، ويتناول مجالات مثل التحليل النفسي، والدراسات الجنسانية، وتحليل الأدب والخطاب، وتاريخ الأفكار.

المؤيدون الرئيسيون: «رولان بارت» (1915 - 1980)، و«ميشيل فوكو» (1926 - 1984)، و«جاك دريدا» (1930 - 2004).

العقلانية: وتنص على أن العقل وليس التجربة أساس الاقتناع في المعرفة، وتؤكد العقلانية وجهة النظر المعرفية التي تعتبر العقل المصدر الرئيسي للمعرفة، وهو الذي يستطيع معرفة مدى صحتها.

المؤيدون الرئيسيون: «فيثاغورس» (570 - 495 قبل الميلاد)، و«أفلاطون» (427 - 347 قبل الميلاد)، و«أرسطو» (384 - 223 قبل الميلاد)، و«رينيه ديكارت» (1596 - 1650)، وهؤلاء بعض من بين آخرين لا حصر لهم.

الواقعية: تضفي على الأشياء المعروفة أو المتصورة وجودًا أو طبيعة مستقلة عن تفكير أي شخص أو إدراكه لها، ومن ثم فهي مستقلة وجوديًّا عن تصور أي شخص.

المؤيدون الرئيسيون: «ديفيد هيوم» (1711 - 1776)، و«برتراند راسل» (1872 - 1970)، و«جي. إيه. مور» (1873 - 1958).

النسبية: إنها المذهب الذي ينص على عدم وجود حقائق مطلقة، أي أن الحقيقة مرتبطة دائمًا بإطار مرجعي معين، مثل اللغة أو الثقافة أو السياق التاريخي، ومن ثم فهي ليست مطلقة.
المؤيدون الرئيسيون: «بول فايرآبند» (1924 - 1994).

الوحدة الذاتية: شكل متطرف من الشك، ينكر أية معرفة بخلاف وجود المرء.
المؤيدون الرئيسيون: «رينيه ديكارت» (1596 - 1650)، و«جورج بيركلي» (1685 - 1753).

البنيوية: نظرية منهجية في العلوم الإنسانية والاجتماعية ظهرت خلال القرن العشرين، وتشير إلى أن عناصر الثقافة الإنسانية يجب أن تُفهم من خلال علاقتها بنظام أو بنية أوسع وأشمل. تهدف البنيوية إلى الكشف عن البنيات التي تكمن وراء كل الأشياء التي يقوم بها البشر، ويفكرون فيها، ويدركونها ويشعرون بها.
المؤيدون الرئيسيون: «فرديناند دي سوسيير» (1857 - 1913)، و«رومان جاكوبسون» (1896 - 1982)، و«كلود ليفي شتراوس» (1908 - 2009).

الذاتية: المعرفة هي ببساطة ذاتية، دون حقيقة خارجية أو موضوعية. وتُعرَف الذاتية، في الأخلاقيات، بأنها الاعتقاد السائد في الأخلاقيات الفوقية؛ والذي ينص على أن الفرضيات الأخلاقية يمكن اختزالها في صورة بيانات واقعية حول توجهات الأفراد أو تقاليدهم، أو أن أية جملة أخلاقية تنطوي على توجه يتبناه شخص ما.

المؤيدون الرئيسيون: «رينيه ديكارت» (1596 - 1650)، و«سون كيركيجو» (1813 - 1855).

الغائية: مبدأ السببية النهائية، والذي يوضح تفسيرات الظواهر استنادًا إلى غرض أو غاية أو هدف أو وظيفة.

المؤيدون الرئيسيون: «أرسطو» (384-322 قبل الميلاد).

النفعية: نزعة فلسفية من القرن التاسع عشر تحدد مدى «سلامة» الفعل وفقًا لـ «منفعته»، ومدى استفادة أكبر عدد من الناس منه.

المؤيدون الرئيسيون: «جيريمي بينثام» (1748 - 1832)، و«جون ستيوارت ميل» (1806 - 1873).

مكتبة
t.me/soramnqraa

مراجع مختارة

Ayer, A.J., *The Central Questions if Philosophy* (Holt, London, 1974)

Blackburn, Simon (ed.), *Oxford Dictionary of Philosophy* (Oxford University Press, Oxford, 2008)

Blackburn, Simon, *Think: A Compelling Introduction to Philosophy* (Oxford University Press, Oxford, 1999)

Cahn, Stephen M., *Exploring Philosophy: An Introductory Anthology* (Oxford University Press, Oxford, 2008)

Craig, Edward, *Philosophy: A Very Short Introduction* (Oxford University Press, Oxford, 2002)

Critchley, Simon, *The Book of Dead Philosophers* (Granta, London 2009)

Cudworth, Ralph, The *True Intellectual System of the Universe, Vol. I.* (New York Gould & Newman, 1837, P. 267; 1678 نشرت لأول مرة عام

Darwin, Charles and Barlow, Nora (ed.), *The Autobiography of Charles Darwin 1809-1882.*
تم تضمين الأجزاء المحذوفة فيه تم تحريره وإرفاق ملحق به «وملاحظات من قِبل حفيدته» نورا بارلو
(Collins, London, 1958)

Foucault, Michel, *Discipline and Punish: The Birth of a Prison* (Penguin, London, I991)

Foucault, Michel, *The History of Sexuality: The Will to Knowledge* (Penguin, London,1998)

Gaarder, Jostein, *Sophie's World* (Weidenfeld & Nicolson, London, 1991)

Garner, Richard T. and Rosen, Bernard, *Moral Philosophy: A Systematic Introduction to Normative Ethics and Meta-ethics* (Macmillan, New York, 1967)

Grayling, A.C., *The Meaning of Things* (Weidenfeld & Nicholson, London, 2001)

Kagan, Shelly, *The limits of Morality* (Clarendon Press, Oxford, 1989, p. 17n)

Kaufman, Walter, *Existentialism from Dostoyevsky to Sartre* (New American Library, New York, 1975)

Kohl Herbert, *The Age of Complexity* (Mentor Books Ltd, New York, 1965)

Levene, Lesley, *I Think, Therefore I Am* (Michael O'Mara Books Ltd, London, 2010)

Mautner, Thomas (ed.), *Penguin Dictionary of philosophy* (Penguin Books, London, 1997)

Monk, Ray and Raphael, Frederic, The *Great Philosophers* (Weidenfeld & Nicholson, London, 2000)

Nagel, Thomas, *What Does It All Mean?* (Oxford University Press, Oxford, 2004)

Paley, William, *Natural Theology: or, Evidences of the Existence and Attributes of the Deity* 12th ed., (J. Faulder, London, 1809)

Pirie, Madsen, *101 Great Philosophers: Makers of Modern Thought* (Bloomsbury, London, 2009)

Rabinow, Paul (ed.), *The Foulcault Reader An Introduction to Foulcault's Thought* (Penguin, London, 1991)

Ross, W. D., *The Right and the Good,* (Oxford University Press, Oxford, 1930; reprinted with an introduction by Philip Stratton-Lake, 2002)

Rowe, William L., *The Problem of Evil and Some Varieties of Atheism.* Reprinted in Howard-Snyder, Daniel (ed.), *The Evidential Argument from Evil* (Indiana University Press, Bloomington, IN,1996)

Russell, Bertrand, *History of western Philosophy* (Allen & Unwin Ltd, London, 1961)

Sartre, Jean-Paul, *Being and Nothingness* (Routledge, London, 1943)

Sartre, Jean-Paul, *Existentialism and Humanism* (Methuen, London, 2007)

Singer, Peter, *The Life You Can Save* (Random House, New York and London, 2010)

Suits, Bernard, the *Grasshopper Games, Life and Utopia* (Broadview Press, London, 2005)

Urmson, J.O. and Ree, Jonathan, *The Concise Encyclopaedia of Western Philosophy & Philosophers* (Routledge, New York and London, 1989)

Wainwright, W.J., *The Oxford Handbook of Philosophy of Religion* (Oxford Handbooks Online, 2004)

Warburton, Nigel, *Philosophy: The Basics* (Routledge, London, 2012)

Yandell, K.E., *Philosophy of Religion - A Contemporary Introduction* (Routledge, London, 2002)

شكر وتقدير

أود أن أشكر الأشخاص التالية أسماؤهم؛ على مساعدتهم ودعمهم ونصائحهم في تأليف هذا الكتاب ونشره؛ وهم: لويز ديكسون، المحرِّرة المساعدة لي في دار نشر مايكل أومارا بوكس؛ لاقتراحها أن أقوم بالعمل على هذا المشروع، أنا حقًّا أقدّر إيمانكِ المستمر بي ودعمكِ لي. كما أتوجه بالشكر إلى إيميلي توماس؛ محررتي الجديدة؛ لاجتهادها وصبرها اللامحدود وعملها الجاد، بالإضافة إلى بقية فريق التصميم والمبيعات والإنتاج في دار نشر مايكل أومارا بوكس.

كما أود أن أشكر موظفي المكتبة وخدمات المعلومات في جامعة ساسكس؛ لسماحهم لي باستخدام مرافقهم الممتازة، وتحمُّلهم إياي في بعض الأوقات التي كنت أغفو فيها أمام جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص بي من وقت لآخر للحصول على بعض الراحة القصيرة. وأتوجه بالشكر إلى السيد ستيف تريز، والسيد إدوارد «بوتش» دايكس، وبقية فريق «فلاسفة النهار»؛ على كرمهم ودعمهم ونصائحهم وتشجيعهم لي طوال عملية تأليف الكتاب. وأخيرًا أتوجه بالشكر إلى عائلتي وأصدقائي وزوجتي جوانا وابنتي بولي؛ لحبهم وتشجيعهم لي، وتحمُّلهم أوقات عملي الغريبة، وكذلك تحمُّلهم سيل النظريات المتخصصة التي كنت ألقيها على مسامعهم. خالص شكري لكم جميعًا.

الفهرس

ا

أبديرا 19

أبقراط 28

إبيقور 31

إثارة أسئلة 10

أثينا 9، 78، 82، 163

إجابات 3

إجراء دراسات 24، 26

احترام الحياة 22

أحكام أخلاقية 46

أحكم رجل 1

أخلاقيات الفضيلة 42، 43، 44

أخلاقيات المعاملة بالمِثل 40

أرسطو 2، 4، 6، 10، 42، 59، 60، 61، 62، 64، 65، 75، 78، 81، 82، 83، 84، 85، 90، 104، 122، 123، 124، 125، 126، 127، 148، 170، 173، 175

أريستوفان 12

إريكسيماكوس 12

أساس الأخلاق 33

استنتاجات 49

أسس أخلاقية 48

أسعد دولة 4، 24

أسعد دولة في العالم 24

أسلوب 8، 64

إشارات المرور 33

إشارة المرور 33، 34

إشارة المرور الحمراء 33

أشجار الزيزفون 39

أشهر الفلاسفة 17

أشهر الفلاسفة الصينيين 17

إصابة 34، 157

أصل الأخلاق 49

اضطرابات 20

إطار أخلاقي 39

إطار ديني 16

إطار علمي 16

إظهار الامتنان 51
إعمال العقل 38، 148
إفساد الشباب 14
أفضل عمل 32
أفكار الذات 18
أفكار مماثلة 17
أفلاطون 2، 4، 10، 11، 45، 78، 79، 80، 81، 82، 85، 120، 121، 122، 123، 146، 149، 173
أكاديموس 10
أكاديمية «أفلاطون» 10
الآداب الشخصية 43
الآراء المتشددة 18
الإثراء الفكري 8
الأحكام الأخلاقية 45، 47، 168
الاختيار الفردي 36
الأخلاق 19، 22، 28، 29، 33، 35، 36، 41، 42، 49، 50، 89، 154، 167
الأخلاق التطبيقية 29
الأخلاق الواجبة 35، 36، 41، 42، 50، 167
الأخلاقيات 7، 5، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 35، 44، 47، 49، 50، 53، 54، 162، 168، 175
الأخلاقيات التطبيقية 50، 53، 54
الأخلاقيات التوجيهية 29
الأخلاقيات العواقبية 31، 32
الأخلاقيات الفوقية 29، 44، 47، 175
الأخلاقيات المعيارية 29، 30، 44، 50
الأدلة التاريخية 17، 48
الأساطير المتناقضة 17
الأساليب البلاغية 18
الاعتناء 3
الافتراضات الإيجابية 49
الأفكار الجيدة 17
الأقوال المأثورة الكلاسيكية 18
الاكتئاب 15
الالتزامات الأخلاقية 35، 36
الالتزام الأخلاقي 35
الألم العقلي 31
الاهتمام 3
الباطل 5
البحث عن الحقيقة 7، 8، 1، 7، 76
التحرر من الألم الجسدي 31
التحرر من الخوف 31

التسامي الروحي 16
التصورات الشخصية 47
التعاسة 20
التفريدات الغاضبة 25
التفكير السليم 37
التفكير العقلاني 37، 38، 148
التقويم اليوناني 21
التنوير 14، 38، 48
الثقافة الدنماركية 26
الثقافة الصينية 17، 18
الجمهورية 2، 78، 80، 82
الحالات الطبية 15
الحسد 20
الحق 5، 89، 159
الحقائق 5، 7، 43، 45، 46، 47، 59، 60، 132، 170
الحقيقة 7، 8، 1، 3، 5، 6، 7، 8، 41، 52، 57، 68، 76، 79، 93، 94، 96، 97، 100، 103، 123، 125، 129، 139، 146، 149، 169، 172، 174
الحكايات الشعبية 17
الحكماء 2
الحكمة 3، 14، 31، 37، 43، 80، 146، 149، 156، 159
الحكيم 3، 23
الحميمية 24
الحياة الأخلاقية 22
الحياة الجمالية 22
الحياة الفاضلة 2
الخالق الأعظم 36، 37، 38، 102، 103
الخالق العظيم 37، 102، 109
الخصائص الأخلاقية 47
الخلافات الأخلاقية 45، 46
الدافع وراء الرغبة 13
الدفء 24
الدنمارك 4، 24
الدوائر الفلسفية 30، 113
الذاتية الأخلاقية 47
الذهب 13، 20
الرأي 6، 7، 16، 45، 135
الرؤية المحررة 16
الرغبات الشخصية 35
الرغبة البشرية 12
الرفاهية الشخصية 24
الرفاهية العامة 32
الرهبة 23

الروح 11، 13، 20، 79، 118، 122، 147، 148
السبب 30، 53، 70، 71، 135
السعادة 7، 4، 6، 9، 10، 11، 12، 13، 14، 16، 17، 19، 20، 22، 23، 24، 26، 31، 32، 33، 42، 84، 148، 149، 152، 166
السعادة الجماعية 32
السعادة» الفردية 32
السلطات الأثينية 14
السلوكيات الأخلاقية 28
الشعائر الدينية 21
الشك 8، 66، 174
الصدق 5، 6، 42
الصين 4
الضرورة الحتمية 39، 52
الطريقة السقراطية 12
العاقبة الصحيحة 31
العقل 5، 18، 38، 42، 43، 47، 49، 80، 102، 103، 122، 135، 142، 148، 149، 166، 169، 173
العلاج المعرفي السلوكي 15
العلوم الدينية 48
العواقبية 30، 31، 32، 38، 50، 165، 166
الغائية 30، 107، 175
الغاية 30، 34، 89، 140
الغاية تبرر الوسيلة 30، 34
الغرض 21، 30، 107، 132
الفراغ الأخلاقي 48
الفرضيات 8، 29، 44، 45، 58، 67، 68، 69، 71، 132، 138، 144، 175
الفضائل الأخلاقية 4، 42
الفضائل الفكرية 42، 43
الفضيلة 14، 30، 37، 42، 43، 44، 84، 85، 91، 145
الفضيلة الحقيقية 14، 91
الفضيلة المزيفة 14
الفكر المعاصر 7
الفلاسفة 2، 9، 17، 22، 27، 45، 48، 80، 87، 88، 92، 120، 141، 157، 170، 171
الفلاسفة القدماء 2، 171
الفلسفة 2، 3، 7، 8، 9، 10، 16، 18، 22، 27، 28، 31، 37، 48، 58، 64، 65، 66، 67، 69، 72، 77، 78، 88، 99، 101، 119، 121، 132،

133، 141، 143، 145، 159، 161،
163، 165، 167، 168، 170، 173
الفلسفة التحليلية 8
الفلسفة الحقيقية 37
الفلسفة الشرقية 16
الفلسفة الغربية 9، 10، 143، 167
الفيلسوف 3، 5، 6، 7، 14، 15، 16،
17، 19، 22، 23، 25، 27، 31، 39،
48، 50، 53، 74، 102، 114، 115،
116، 136، 141
الفيلسوف الضاحك 19
الفيلسوف الهندي 15، 16، 17
القارئ العادي 8
القاعدة الذهبية 40
القانون الديني 35
القانون العام 41
القضايا العملية 29
القلق 16، 22، 23، 26
القواعد الأخلاقية 33، 49
القيم الشخصية 35
الكشف عن الحقيقة 3
اللاواقعية الأخلاقية 47
اللغة الإنجليزية 5، 23
اللغة اليونانية 3، 35، 121
اللون الأخضر 33
ألم 31، 137
المؤسسات التجارية 28
المؤسسات الحديثة 28
المبادئ التوجيهية 16، 28، 53
المجرى المائي 18
المحبة 3، 148
المذاهب الفلسفية 17
المذهب الذري 19، 166
المذهب الطبيعي الأخلاقي 35
المسرحيات الإغريقية الكلاسيكية
11
المشاعر الإيجابية 24
المعتقدات الأخلاقية 46
المعنى 7، 29، 30، 45، 119، 122،
124، 127، 128، 129، 130، 133،
134، 140، 141، 143، 144، 146،
167، 170
المفاهيم الميتافيزيقية 11
الملذات الجسدية 13
الممارسات التأملية 15
المنطق المغلوط 12
المنفعة 32، 33، 40
المنفعة الاجتماعية 32

المواقف الصعبة 41
الموضوعية الأخلاقية 45
النسبية الأخلاقية 46
النفس البشرية 10، 79، 80
النهر المتدفق 18
الهدف 1، 4، 30، 31، 82، 84
الهواة 2
الواجبات الكاملة 40
الواجبات المنقوصة 40
الواقعية الأخلاقية 44، 45، 46، 47، 48
الواقعية المطلقة 8
الوسيلة 30، 34، 89، 142
الوعي التام 15، 16
الوفاء بالوعد 51، 52
اليونان 29، 78، 82، 165
أمر خطأ 46
انتهاك القانون 33
انعكاسات 43
إنقاذ روح 33
أوقات السعادة 42
إيروس 12، 13، 146، 149
إيمانويل كانت 25، 38، 39، 167، 169
إيه. سي. جرايلينج 7

ب

بحث 3، 29، 59، 160
بدء الخليقة 38
برنامج الحد من التوتر 15
بستان 10
بيرسيفوني 21
بينثام 32، 33، 95، 165، 167، 175

ت

تأثير أبديّ 13
تاريخ الفكر 7
تحقيق السعادة 10، 22، 31، 32، 152
تسيير الحياة 37
تصاريف الدهر 11
تصرفات المرء 43
تصرفات معينة 29
تطور الفلسفة الغربية 10، 167
تطوير الذات 51
تعارض 35، 52
تعبيرات الإرادة البشرية 41
تعريف السعادة 22

تفضيل 47
تفكر 3، 10
تقديم الحقيقة 6
تقرير السعادة العالمية 24
تقييم الأفعال 42
تكلفة المعيشة 24
تناقض 40
توجه 47، 48، 175
توجهات 47، 101، 175
توجه
أو رأي 47

ث

ثقافة معينة 47

ج

جاموس الماء 17
جان بول سارتر 7، 41، 150، 155، 169
جوانب الإدراك 49
جوانب فاضلة 42
جورج فيلهلم هيجل 8، 171
جون ستيوارت ميل 32، 165، 172، 175
جون كابات زين 15، 16
جي. إل. ماكي 48

ح

حادث 34
حالة رائعة 10، 11
حالة سلام 19
حالة طمأنينة 31
حالة قلق دائمة 23
حركة المرور 34
حرية الاختيار 23، 113
حرية الفكر 14
حسابات مماثلة 25
حفل عشاء 12، 25
حقائق 3، 5، 6، 47، 48، 174
حقائق أساسية 3
حقوق الآخرين 35
حقيقة 6، 13، 37، 49، 121، 124، 126، 132، 137، 140، 141، 151، 175
حقيقة الشيء 49
حكم أخلاقي 47
حكمة 1، 14، 112، 154
حكيمة تويتر 25
حلقة مفرغة 16
حوار 12

حياة الإنسان 3، 11، 20، 31
حياة المرء 13
حياة سعيدة 19
حياة عادلة 29
حياة غير سعيدة 4
حياة فاضلة 42

خ

خبز طازج 21
خدمات الطوارئ 33
خدمة الصالح العام 34
خصوبة الأرض 21
خفة الظل 43
خيارات 16، 44
خيارات أخلاقية 44

د

دبليو. دي روس 50
دراسات نفسية 26
دراسة الحكمة 37
درجات السعادة 33
دليل دامغ 38
دوافع الشخص 38
ديفيد هيوم 48، 109، 166، 168، 174
ديكارت 36، 37، 38، 169، 173، 174، 175
ديلفي 1
ديموقريطوس 19، 20، 21

ر

رأي 6، 17، 47، 121
رغبة بديهية 4
رفع الضر 51
رمز الحب والرغبة 12، 146
رمز مهم 13
رينيه ديكارت 36، 169، 173، 174، 175

ز

زيادة المحصول 21

س

سعداء 9، 20، 37، 156
سقراط 1، 3، 9، 10، 11، 12، 13، 14، 22، 78، 79، 120، 121، 146، 147، 170
سوء الأدب 25
سون كيركيجو 22، 25، 169، 175
سيارة الإسعاف 33
سياقات متعددة 25

ش

شارع ليندن أفنيو 39

شاطئ البحر 24

شخص عاقل 4

شخصية بارزة 38، 48

شخصية شبه أسطورية 17

شر 48

شعور 25، 47، 153

شيشرو 27

ص

صديق قديم 24

صراع 18، 92، 153، 157

ض

ضيف 12

ط

طبيعة السعادة 17

طرق منطقية 6

طلاب العلم 10

ظ

ظاهرة ثقافية 7

ظروف مخففة 34

ع

عاطفة الحب 12

عاقبة 30، 32

عصر التنوير الإسكتلندي 48

عصر التنوير الألماني 38

عضو تشريعي 40

عطلة عامة 33

عقوبة الإعدام 14، 46

علاقة مباشرة 49

علوم الحياة 50

عواقب 30، 35، 51، 166

عواقب جيدة 30

عواقب سيئة 30، 166

عيش الحياة 22، 26

عيش اللحظة الحالية 23

غ

غداء ممتع 24

غياب المعنى 45

ف

فئات مختلفة 35، 82

فرصة أفضل 33

فرضيات 45، 47، 58، 65، 67، 133

فرضيات معينة 45
فرق كبير 28
فريدريش نيتشه 7
فضائل العقل 42
فعل أخلاقي 30
فلاسفة الهند 14
فلسفة الأخلاقيات 7، 5، 27، 29، 168
فلسفة الحب 7، 7، 145، 169
فلسفة الدين 7، 6، 99، 100، 167
فلسفة السعادة 7، 4، 9، 17، 19، 22، 166
فلسفة السياسة 7، 6، 77، 78، 86
فلسفة العلوم 7، 5، 57، 62، 64، 72، 170
فلسفة اللغة 7، 7، 99، 119، 127، 132، 167
فلسفة المستقبل 7، 7، 159، 162، 163
فلسفة «ديكارت» 38
فلسفة لاو تسو 18
فوكو 8، 6، 93، 94، 95، 96، 97، 173
فيلسوف 49، 54، 62، 93

ق

قائمة طعام 4
قرارات إيجابية 16
قرارات صعبة 28
قواعد أخلاقية 28
قوى العالم الخارجي 10
قيم أخلاقية 47
قيمة الاعتدال 22
قيمة كبيرة 20

ك

كائن حي 4
كائن عقلاني 40
كابات زين 15، 16
كارثة 34، 41
كاميرا المرور 34
كانت 3، 5، 11، 13، 21، 25، 30، 31، 33، 36، 38، 39، 40، 41، 45، 49، 52، 54، 67، 68، 74، 75، 91، 103، 111، 121، 125، 131، 137، 139، 141، 142، 146، 154، 155، 157، 163، 165، 167، 169
كانتي ويست 25
كانياه ويست 25

كتابات متفرقة 20
كلية الطب بجامعة ماساتشوستس 15
كوب دافئ 24
كونيجسبيرج 39
كيركيجو 22، 23، 25، 26، 169، 175
كيم كارداشيان 25
كيم كيركيجوداشيان 25

ل

لا وتزه 17
لاو تسو 17، 18، 19
لحظة نشوة 13
ليلة شتاء باردة 24

م

مؤسس الفلسفة الوجودية 22
مؤشرات السعادة 24
مبادئ أخلاقية 50
مبادئ عامة 40
مبدأ العبرة بالنتيجة 30
مبدأ المنفعة 33
مثالية 15، 41
مجالات بحث 29
مجالات منفصلة 44
مجال الطب 50
مجتمع 8، 6، 87، 120، 135
محكمة شعبية 14
مخاطرة 34
مدارس 29
مدرسة الأخلاقيات الفوقية 47
مدرسة الليسيوم 2
مدرسة فكرية 20
مدينة بابل 19
مدينة يونانية 19
مذهب المتعة 31
مذهب المنفعة 32، 40
مذهب منفعة الفعل 33، 34، 41
مذهب منفعة القاعدة 34، 35
مذهب منفعة القواعد 33
مسار العمل 29، 50
مساعدة الآخرين 51
مستقبل الفلسفة 7
مسح سنوي 24
مشروب الشيكولاتة 24
مشكلات الأخلاق الواجبة 41
مشكلة 22، 36، 49، 52، 69، 76، 99، 112، 114، 125، 151

مشكلة حقيقة الشيء 49
مشكلة كبيرة 36
مصدر الخير 12
مصدر خارجي 35
مصر 19، 101
مطرقة 5
معايير مطلقة 46
معدلات الجريمة 24
معرفة شاملة 8
معضلة القاتل 41
معقد 8، 53، 78
معنى الحياة 9
مفتاح السعادة 11، 13
مفهوم الجمال 13
مفهوم السعادة 9، 10
مفهوم سلبي 36
مفهوم مادي 5
مقصلة «هيوم» 49
ملذّات الجسد 11
ملذات الحواس 14، 31
ممارسة التأمل الانعكاسي 16
ممارسة القسوة 51
ممشى الفيلسوف 39
مملكة عامة 40
مناقشة عامة 7
مناهج مختلفة 30
منفعة اجتماعية 32
منفعة الفعل 33، 34، 41
منفعة القواعد 33، 34
منفعة المجتمع 32
مهرجان سيزموفوريا 21
مهنة الطب 28، 95
مواءمة 11
مواجهة الخزي 43
مواجهة المخاوف الفردية 42
مواقف أخلاقية 44
مواقف أكثر مرونة 40
مواقف فعلية 50
مواقف معينة 46
موضوع السعادة 9، 12
موقع تويتر 25
موقف أخلاقي 46
موقف محدد 50
موقف معين 30، 33، 166
ميزة متفردة 45
ميشيل فوكو 8، 6، 93، 97، 173
ميل 32، 33، 142، 165، 167، 172، 175

ن

نزهة عائلية 24
نطاق واسع 14، 23، 26، 29
نظرية الأخلاقيات 35
نظرية الأمر الإلهي 36، 37
نظرية الحقيقة 5
نظرية المعرفة الأخلاقية 45
نظرية مطابقة 5
نقاء الروح 20
نهج علماني 38
نوبة قلبية 33
نيبال الحديثة 14
نيتشه 7، 8، 141، 154، 156، 157، 158، 169، 172
نيرفانا 16، 31

هـ

هاينريش هاينه 39
هبة 11
هتلر 47، 48، 140
هدف نبيل 3
هيجل 8، 171
هيوم 48، 49، 109، 166، 168، 174

و

واجبات أخلاقية 41، 50
واجبات ظاهرية 50
واقع 22
وجهة النظر 11، 30، 58، 66، 75، 90، 110، 131، 150، 169، 173
وجهة نظر 31، 33، 96، 116، 158، 166، 171
وسائل الإعلام 28
وسيلة 6، 20، 40، 46، 74، 154
وسيلة فعالة 20
وصف الأخلاقيات 49
وقت محدد 39، 123

ي

يودايمونيا 4، 6

telegram @soramnqraa

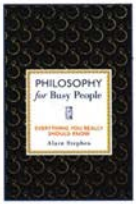

هل تعرف الفرق بين الأرسطية والتقشف؟
والفرق بين المساواتية والوجودية؟

تفسر الفلسفة وتدعم وجودنا الفعلي، ولكن كم منا يستطيع حقًا الإدعاء بأن لديه فهمًا واضحًا لأفكارها العديدة والمتطورة؟

يلخص آلان ستيفن أفكار المنظرين ومفاهيمهم الأساسية من خلال تقسيم الموضوع الكبير إلى عناصر رئيسية سهلة الفهم، بدء من الحب واللغة والسعادة إلى العلوم والسياسة والأخلاق، حيث يأتي على ذكر الفلاسفة القدامى والحديثين بوضوح في كل صفحة، مع سرد تفسيرات واضحة لنظرياتهم ومكانتهم في المدارس الفكرية الرئيسية. إنه دليل موجز تم إعداده ببراعة حتى لأكثر الأشخاص المشغولين.

لشراء النسخة الإلكترونية
قارئ جرير
JARIR READER
مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

ISBN 628-1072-12-073-3
6 281072 120733
282207966